روائع القصص البوليسية

اليد المقطوعة

هتشكوك



مكتبة معروف

روائع القصص البوليسية

اليد المقطوعة

محمد عبد المنعم جلال

مكتبة معروف
الإسكندرية: ٤٨١٠٨٢٨ / ٤٨٤٦١٢٥ فاكس ٤٨٦٠٠٨٩
القـــاهرة: ٢٦١١٢٢٩ ص.ب ١٢٧٠ الإسكندرية

اليد المقطوعة

اجتمع القوم حول مسيو برموتيه ، قاضى التحقيق الذى راح يدلى بوجهة نظره فى جريمة سانت كلود الغامضة ، تلك الجريمة المستغلقة التى روعت أهالى باريس ومازالت تروعهم منذ شهر دون أن يجدوا لها حلاً أو تفسيراً .

ووقف مسيو برموتيه مولياً ظهره للمدفأة وراح يتكلم فيدحض الأدلة ويمحص الآراء المختلفة من غير أن يبت برأى ما .

ونهضت بعض النسوة واقتربن منه ورحن يصين إليه فى اهتمام وقد تملكهن الخوف والانفعال ، وقالت إحداهن وكانت أكثرهن شحوباً :

– هذا مروع .. غير مألوف .. خارق للطبيعة .. لن نعرف له تفسيراً .

تحول القاضى إليها وقال :

– هذا صحيح يا سيدتى .. من المحتمل أننا لن نعرف شيئاً أبداً .. ولكن عبارة خارقة للطبيعة التى نطقت بها لا محل لها هنا ، فنحن أمام جريمة دبرت بإحكام ونفذت بكل دقة ويكتنفها الغموض من كل جانب بحيث لن نستطيع استجلاء الحقيقة من الظروف والملابسات المحيطة بها ، على

أنني أذكر أنني تتبعت فيما مضى قضية كانت غريبة حقاً وبدت كأن الخيال قام فيها بدور كبير واضطررنا إلى التخلى عن استجلاء غوامضها لأنها استعصت علينا وبقيت مستغلقة حتى يومنا هذا .

صاحت بعض النسوة فى صوت واحد :

– أوه ، حدثنا عنها .

ابتسم مسيو برموتيه فى شىء من الجد كما ينبغى لقاضى التحقيق أن يفعل واستطرد يقول :

– لا يخطرن ببالكن أننى ظننت لحظة واحدة أن فى هذه القضية شيئاً شاذاً أو خارقاً للطبيعة فأنا لا أومن بمثل هذه الأشياء ، ولكن إذا استبدلنا عبارة " خارقة للطبيعة " بكلمة " مستغلق " لكان هذا أوفق .. وعلى كل فإن ما أثارنى فى تلك القضية التى سأبسطها لكم الآن إنما هى الظروف المحيطة بها والممهدة لها وإليكن الحقائق .

" كنت فى ذلك الوقت قاضياً للتحقيق فى مدينة أجاكسيو ، وهى مدينة صغيرة بيضاء تقع على ساحل خليج جميل تحيط به الجبال الشاهقة " .

وكانت القضايا التى تعرض على فى تلك المدينة جلها إن لم يكن كلها من قضايا الانتقام والأخذ بالثأر ، وكلها قضايا مشحونة بالفظاعة والوحشية وبعضها يتسم بالبطولة ، وإذا نحن درسنا تلك القضايا لوجدنا فيها أجمل أنواع الأخذ بالثأر إلى جانب الاحتقار والأحقاد والحيل الغريبة التى ينسب أصحابها المذابح التى تقع بكثرة أى نوع من أنواع البطولة ، وقد قضيت فى المدينة سنتين لم أسمع فيهما إلا الحديث عن صوت الدم والانتقام لكل إهانة مهما صغرت ، ورأيت شيوخاً تقتل أطفالاً تذبح ،

وامتلأت رأسى طوال هاتين السنتين بأنواع غريبة من هذه الجرائم .

وبلغ إلى سمعى ذات يوم أن إنجليزياً قد استأجر لبضع سنين ڤيللا صغيرة تقع فى آخر الخليج وأنه أتى معه بخادم فرنسى جاء به من مارسيليا .

ولم يلبث هذا الغريب أن شد اهتمام الأهالى إذ كان يعيش فى الڤيللا بمفرده ، لا يغادرها إلا للصيد والقنص ، ولا يزور ولا يزار ولم يفد إلى المدينة ولا مرة واحدة .

وكان يتمرن كل يوم ساعة أو ساعتين على إطلاق الرصاص من مسدسه أو بندقيته .

وتجمعت حوله بعض الأساطير ، فقيل إنه شخصية هامة هرب من وطنه لأسباب سياسية ، وقيل إنه إنما جاء ليعيش فى تلك البقعة النائية متخفياً بعد أن ارتكب جريمة بشعة ، بل إن البعض راحوا يذكرون عنه ملابسات غاية فى الفظاعة .

وأردت بصفتى قاضياً للتحقيق أن أجمع بعض المعلومات عن هذا الرجل ولكن تعذر على أن أعرف عنه شيئاً على الإطلاق فيما عدا أنه كان يدعى سيرچون رويلى .

وقنعت بمراقبته عن كثب ، ولكن لم يصدر منه ما يحمل على الشك فيه أو الارتياب فى أمره .

ومع ذلك فقد زادت الإشاعات عن ذى قبل حتى أصبحت عامة يتناولها الجميع ، واستقرت نيتى على أن أرى ذلك الرجل فأخذت أصطاد بجوار أملاكه بانتظام .

وانتظرت طويلاً إلى أن سنحت لى الفرصة فقد أطلقت الرصاص ذات يوم على أحد الطيور وأصبته فى مقتل أمام بصر الإنجليزى ، وأسرع كلبى فأتانى بالطير ولكننى أخذته وقصدت الرجل وأبديت له اعتذارى لاصطيادى فى أراضيه وعرضت عليه أن يقبل الطير الذى اصطدته هدية منى .

وكان رجلاً مهيباً ذا شعر أحمر ولحية حمراء ، طويل القامة مفتول العضل كواحد من هؤلاء الهراقلة المتزنين المهذبين .. ولم يكن فى ملامحه شىء من تلك الصلابة التى اشتهر بها الإنجليز وشكرنى فى حرارة للهدية اللطيفه ، ولم يمر بنا شهر حتى كنا التقينا خمس أو ست مرات .

وأخيراً وبينما كنت أمر ذات ليلة أمام بيته رأيته جالساً فى الحديقة يدخن غليونه ، ودعانى لكى أتناول معه كأساً من البيرة وقبلت دعوته على الفور .

واستقبلنى فى رقة وحدثنى عن فرنسا وكورسيكا وقال لى إنه يحب هذه البلدة الأخيرة حباً كثيراً .

وألقيت عليه عندئذ بضعة أسئلة عن حياته وعن مشاريعه فى حرص وحذر ولكنه أجابنى فى صراحة وبدون ارتباك فذكر لى أنه تنقل كثيراً فى أفريقيا وأمريكا وأردف يقول ضاحكاً :

– وقد وقعت لى مغامرات كثيرة .. نعم ، كثيرة .

ثم طرقنا باب الصيد فتحدث فيه فى طلاقة مقدماً لى أدق التفاصيل عن صيد فرس البحر والنمر والفيل والغوريلا أيضاً ، وقلت أشجعه :

– كل هذه الحيوانات شديدة الخطر .

فابتسم وقال :

– أوه ، هى حقاً شديدة الخطورة ، ولكن خطرها لا يعد شيئاً إذا قيس بخطر الرجال .

وضحك من سويداء قلبه ثم أردف :

– وقد اصطدت عدداً كبيراً من هؤلاء .

ثم تطرق بنا الحديث بعد ذلك إلى الأسلحة وأنواعها وتقدمنى إلى غرفة الاستقبال لكى يرينى مجموعة منها .

وكانت غرفة الاستقبال مجللة بالسواد وتغطيها ستائر من الحرير الأسود المطرز بالذهب وقد رسمت عليها زهور صفراء راحت تومض وميض النار .

وقال وهو يرانى أطيل النظر إليها :

– كانت هذه ملاءة يابانية فى الأصل .

ولكن جذب اهتمامى شىء آخرغريب فى منتصف أكبر لوح من الألواح الخشبية التى تكسو جدران الغرفة ، ففوق قطعة من المخمل الأحمر رأيت شيئاً أسود اقتربت منه فى فضول وتبينت فيه يداً آدمية ، لم تكن يداً بيضاء فظيعة لهيكل عظمى ، بل يد سوداء متيبسة لها أظافر سوداء وعضلات متنافرة وعليها آثار دم قديم .. دم بدا أشبه بشىء قذر عند العظم المبتور الذى بدا بتره كما لو كان ناجماً عن ضربة فأس بعد الرسغ بقليل ، وحول الرسغ نفسه سلسلة حديدية ضخمة تربطها بالحائط حلقة متينة يعجز عن خلعها الفيل نفسه ، وسألته :

– ما هذا ؟

فأجاب الإنجليزى فى هدوء :

- هذا هو عدوى اللدود .. أقبل من أمريكا وقطعت يده بالسيف ونزعت الجلد بحجر قاطع وجففتها فى الشمس ثمانية أيام .

ولمست ذلك الحطام البشرى الذى كان ملكاً ذات يوم لرجل عملاق ، كانت الأصابع طويلة ، وقد ضمت إلى بعضها البعض بأشرطة من الجلد ، وكان منظرها بشعاً يبعث الاشمئزاز والنفور إلى النفس ، وتوحى بأنها قطعت بدافع انتقام وحشى .

وقلت :

- لا ريب أن صاحب هذه اليد كان رجلاً قوياً .

فأجاب الإنجليزى فى رقة :

- آه ، نعم ، ولكننى كنت أقوى منه ، وقد وضعت هذه السلسلة كى لا تهرب منى .

وظننت أنه يمزح فقلت :

- ولكنها عديمة النفع ، فإن اليد لن تهرب .

ولكن الإنجليزى قال بلهجة الجد :

- كانت تريد الهرب ، وكان لابد لهذه السلسلة .

نظرت إليه نظرة سريعة مستفهماً وأنا أسائل نفسى أهو مجنون أم تراه يمزح ؟ بيد أن ملامحه ظلت هادئة واحتفظت ببشاشتها ، ورأيت أن أغير الحديث فأبديت إعجابى بالأسلحة .

ولاحظت أن هناك ثلاث مسدسات محشوة وموضوعة فى أماكن متفرقة من الغرفة مما يدل على أن ذلك الرجل كان يعيش فى خوف دائم من هجوم

مفاجئ .

وعدت إلى مسكنه مراراً ثم انقطعت عن زيارته بعد أن اعتاد الناس عليه ولم يعد مثار إهتمامهم .

ومرعام ، وذات مساء من أواخر نوفمبر أيقظنى خادمى وهو يقول إن سير چون رويلى لقى حتفه غيلة أثناء الليل .

وبعد نصف ساعة كنت قد بلغت مسكن الإنجليزى وبرفقتى قوميسير البوليس ورئيس الشرطة ، وكان الخادم يبكى بالباب وهو شارد اللب ، وقد اشتبهت فيه فى بادئ الأمر ولكننى لم ألبث أن أيقنت أنه برئ .

ولم نعثر على الجانى أبداً .

وعندما دخلت غرفة الاستقبال رأيت لأول وهلة جسد چون رويلى مسجى على ظهره فى وسط الغرفة .

كان الصديرى ممزقاً وقد انتزع أحد كميه إنتزاعاً ، كان كل شيء فى الغرفة يدل أن معركة رهيبة قد دارت بها .. وأسفر التحقيق على أن الإنجليزى لقى حتفه خنقاً ، وكانت ملامحه ووجهه الأسود المنتفخ يدلان على أنه شهد شيئاً أثار فزعه ورعبه إلى حد كبير ، وكان يضغط بين أسنانه على شيء ، وبدت بعنقه آثار ثقوب خمسة كما لو أن أصابع من فولاذ قد التفت به وظلت تضغط وتضغط حتى انبثق الدم .

ولحق بنا الطبيب الشرعى وفحص تلك الآثار فحصاً طويلاً ثم نطق بهذه الكلمات الغريبة :

- يبدو كأن هيكلاً عظمياً قد خنقه .

سرت الرعشة فى بدنى ونظرت إلى الحائط ، إلى المكان الذى سبق أن رأيت اليد معلقه به فلم أجدها ، ورأيت السلسلة مدلاة وقد تحطمت .

وانحنيت فوق الرجل الميت عندئذ ، ورأيت بين أسنانه أحد أصابع اليد المختفية وقد قطعها بأسنانه عند المقطع الثانى .

وقمنا بتحقيق دقيق ولكننا لم نهتد إلى شىء ، كانت الأبواب مغلقة وغير محطمة ، وكذلك كانت النوافذ ، كما أن الكلبين اللذين يقومان بالحراسة لم يصبهما شىء مما يدل دلالة قاطعة على أنهما لم يتنبها إلى حدوث شىء .

وإليكن أقوال الخادم فى كلمات موجزة :

بدا الانفعال على سيده منذ نحو شهر ، وجاءته خطابات كثيرة كان يحرقها أولاً بأول ، ولكنه كان على أثر كل خطاب فيها يتناول سوطاً كبيراً ويمضى إلى حيث اليد المتيبسة المعلقة التى اختفت ذلك الإختفاء الغريب بعد وقوع الجريمة ، فيضربها ضرباً مبرحاً وهو فى ثورة كبيرة من الغضب والهياج .

وكان يأوى إلى فراشه بعد ذلك فى وقت متأخر بعد أن يحرص على غلق الأبواب والنوافذ فى عناية فائقة وفى يده مسدسه .

وكان كثيراً ما يتكلم بالليل بصوت عال كما لو كان يتشاجر مع أحد .

وفى ليلة الجريمة لم يصدر منه أى صوت ، وعندما جاء الخادم ليفتح النوافذ فى الصباح وجد سيده سير چون قتيلاً ولم ترق شكوكه إلى أحد .

وأطلعت المحققين على ما أعرفه وقمنا بالبحث والاستقصاء فى أنحاء الجزيرة ولكننا لم نكتشف شيئاً ما .

ولكن فى إحدى الليالى ، بعد وقوع الجريمة بثلاثة أشهر رأيت كابوساً مخيفاً مروعاً ، فقد خيل لى أننى أرى فى منامى اليد البشعة تجرى كالعقرب أو كالعنكبوت على ستائر غرفتى وجدرانها ، وهببت من نومى مذعوراً ثلاث مرات وعدت إلى النوم ثلاث مرات ، ورأيت اليد البشعة ثلاث مرات وهى تجرى فى أرجاء غرفتى محركة أصابعها كمخلب حيوان هائل .

وفى اليوم التالى جاءونى بها ، وقد عثروا عليها فى المقبرة فوق سير چون رويلى الذى دفن فى المدينة لأننا لم نستطع الاهتداء إلى ذويه .

وكان المقطع الأول من إصبعها السبابة ناقصاً .

هذه هى قصتى يا سيداتى ، ولا أعرف عنها أكثر من ذلك .

ذهلت السيدات وشحبت وجوههن وتملكتهن الدهشة وصاحت إحداهن :

– ولكن هذه ليست نهاية وليست تفسيراً ، لن يغمض لنا جفن ما لم تقل لنا ماحدث كما تعتقده أنت .

ابتسم القاضى فى صراحة وقال :

– أوه ، إننى سأفسد عليكن أحلامكن حقاً يا سيداتى ، ولكننى أعتقد أن صاحب اليد الشرعى لم يكن قد مات وأنه أقبل لكى يبحث عنها بيده المتبقية ، غير أننى لا أعرف ماذا فعل بالذات .. فيما عدا أن هذا نوع من الانتقام .

هتفت إحدى السيدات :

– كلا ، لا يمكن أن يكون الأمر كما تقول .

اختتم القاضى حديثه قائلاً وهو لا يزال يبتسم :

– ألم أقل لكن إن تفسيرى لن يرضيكن .

أصبع الاتهام

الفود والسحر والعظام المسحورة وما شابهها لا تعترف بها مدينتنا ، ومع ذلك فان قليلين منا يودون لو أن تشير ساحرة الينا بأصبعها وتتنبأ لنا بأننا سوف نموت قبل غروب الشمس .

وبعد أن تلا جيمس واطسون الوصية علينا والقاها فوق المكتب أمامه وقال :

– إن عمكم كان يحب هذا المكان كثيرا ، وقد خطر له أنه اذا أقام أولاد إخوته فيه سنة كاملة فربما يحبه أحدهم بدوره وتطيب له الاقامة فيه ويحافظ على حالته الحاضرة ..

عبس أورفيل كراوفورد وقال :

– سنة فى هذا البيت نحن الثلاثة .. هذا محال .

وقال فريدى :

– إن كلا منا يكره الآخر وكان يتنانى يعرف ذلك سنقتل بعضنا البعض قبل ان تمر السنة ..

قال واطسون :

– ومع ذلك فان الوصية تنص على أنه لابد لكم من البقاء معا فى هذا البيت سنة بتمامها وأنه إذا فشل احدكم فى تنفيذ الشروط المذكورة فإن التركة توزع فى آخر السنة بين الاحياء ..

وأسرع يقول مصححا :

– بين الباقين .

وكان هناك نص آخر على جانب كبير من الأهمية رأى واطسون ان يعيده على أسماعنا فقال :

– واذا لم يستطع احدكم البقاء فى هذا البيت كما هو مذكور لسبب من الأسباب فان التركة تؤول عندئذ إلى امانتا ديفونتين .

وطبعا نظرنا كلنا الى امانتا عندئذ .. كانت سمراء الشعر أطول من المعتاد بقى وجهها محتفظا بهدوئه ونحن ننظر اليها ، كانت تشرف على البيت طوال الشهور الأربعة التى سبقت موته وكان من العسير ان تقدر سنها ولكننى ظننت انها فى الثلاثين وظننت إنى رأيت وميض ابتسامة فى عينيها السوداوين تحولت الى واطسون وقلت :

– هل شرحت جثة عمى بعد موته ؟.

وجاء الرد على مضض :

– نعم ..

– هل من العادة تشريح الجثث عند الوفاة الطبيعية .. الطبيعية تماما ؟.

نظرت إلى امانتا ، فخيل لى اننى ألمح شبه ابتسامة لم تلبث ان اختفت.

وأنا وفريدى وأورفيل نمت بصلة القربى للعم بنتانى ، ولكننا لسنا أولاد اخوته ولاحتى أولاد أعمامه ، وليس فينا من يحمل اسم كرافورد غير اورفيل .

وأورفيل له شعر أملس غير مجعد ومتفرق ، وهو مدير شركة تخصصت فى جميع الديون شبه الميتة بنيو اورليانز ويجد متعة كبيرة فى عمله وخلال أيامه الأولى فى الشركة عضته الكلاب أكثر من مرة .

أما فريدى ميريديت فكان يرتدى جاكتا رياضيا وربطة عنق ثمينة وهو مدرس للفنون الجميلة فى كلية صغيرة للبنات وقلائل الذين يعرفون أن روجته ماتت قضاء وقدرا وان التيار صعقها وهما يستحمان فى البانيو ..

وكنت قد بلغت سن الأربعين فى ذلك الوقت وإن كان معارفى واصدقائى يقولون .

- انني أبدو أكبر سنا ، وقد ورثت عن أبى ميراثا صغيرا سمح لى بأن أعيش فى بحبوحة من العيش دون أن أمارس أى عمل .

مسح أورفيل نظارته وقال :

- لا أري كيف استطيع أن ابتعد عن الشركة سنة كاملة .

قال فريدى بدوره :

- لا أدرى كيف أستطيع الحصول على أجازة سنة .. سيطردوننى من عير شك ولكن أظن أن إحدى تلميذاتي قد تستطيع مساعدتى .. وتنهد ولكن كانت هذه علامات روتينية للاحتجاج ولم أشاركهما احتجاجهما ففى سبيل

حصة قدرها مليون من الدولارات يمكن للمرء أن يضع العمل جانبا وان يهتم بزوجته ، حتى ولو كانت مستبدة ، أو بحريته .

وقلت أخاطب أمانتا :

- سأنتقل انا وادجرتون الى الجناح الشرقى بالدور الثانى .

وعندما غادرتنا لاعداد الجناح المذكور تحول فريدى الى واطسون ساخطا وقال :

- لماذا ذكرها عمى بنتانى فى وصيته ، انها لم تبق معه غير أربعة شهور ولا إخالك تعتقد انهما كانا .

قال واطسون :

- لا أدرى .

ولكننى لم أظن ذلك فطبقا لمعلوماتى كان العم بنتانى لا يحجم أو يتورع عن شيء ولكننى استبعدت أن تكون أمانتا عضوا فى علاقة كهذه .

وسأله أورفيل :

- ومن هى أمانتا ديفونتين ؟

وضع واطسون أوراقه فى مظروف متين والمظروف فى حافظة أوراقه ثم سعل وقال :

- إنها قاتلة اطلق سراحها ، وهى تحت المراقبة .

واستطرد يقول :

- يبدو أن مسز ديفونتين ، وقد اختارت الابقاء على اسم الزوج الذى

قتلته ، يبدو انها تزوجت وهى فى السابعة عشرة وكان مستر ديفونتين أكبر منها سنا بكثير واعتقد انه كان فى الخمسين وقد مات بعد زواجه بثلاثة شهور ، واصر أقاربه على تشريح جثته وقد ثبت من التشريح انه مات مسموما .. وعند استجواب مسز ديفونتين اعترفت بأنها اعطته الجرعة القاتلة .

وتناول واطسون قبعته وأردف :

– وقد قضت فى السجن اربعة عشر عاما واطلق سراحها منذ ثمانية شهور على وعد ، وهى تحت المراقبة .

قال أورفيل غير مصدق :

– والحقها العم بنتانى بخدمته ؟ .. ألم يعرف ما فعلت ؟

– حسنا .. إحقاقا للحق .. أشعر .. بأنه بحث عن امرأة مثلها بالذات .. هكذا قال .

هنأت العم بنتانى كما هنأت ذهنه الصغير العملى .. لا ريب أنه يضحك بينه وبين نفسه الآن حيث هو ، اذا كان قد تأقلم بالمكان الجديد الذى يقيم به .

كان العم بنتانى يمقتنا ، ربما لا لسبب آخر فيما عدا أنه كان ثريا بما فيه الكفاية لكى يمقت كل شخص آخر غيره . . كان فى مقدوره لو أنه شاء أن يوصى بأمواله كلها للجمعيات الخيرية هذا إذا كان يثق بوجودها ، ولكن مثل هذه الوصية من الممكن الطعن فيها .. وهكذا بدا لى أن العم بنتانى اضطر ان ينحنى لما لابد منه ولكنه آثر أن يكيفه وفق هواه .

وشحب وجه فريدى وقال :

– هل تعنى انه لابد لنا أن .. نتناول طعامنا هنا ؟ وان ناكل ما تطهوه لنا هذه المرأة ؟

قال واطسون فى رفق :

– ان مسز ديفونتين لا تقوم بطهى الطعام .. هناك خدم متخصصون لذلك .. ان عملها يقتصر على الاشراف على البيت وتدبير شئونه فحسب . ومع ذلك .. واذا ما وقعت ظروف مشبوهة فسأطلب بتشريح الجثة طبعا .

قال أورفيل فى قوة :

– سأطردها حالا .

ابتسم واطسون وقال :

– ولكنك لا تستطيع فان الوصية تنص على وجوب بقائها للاشراف على البيت لمدة سنة كاملة بعد موته وإلا حرمتم كلكم من الميراث .

وعندما انصرفت صعدت إلى مسكنى ووجدت أمانتا ترشد خادمتين فى إعداده .. وخاطبتها قائلا :

– اننى أفضل دائما أن اتناول طعام الإفطار فى غرفتى وسيهبط ادجرتون كل صباح لكى يأتينى به .

– ولكن يمكننى ان ابعث به اليك .

– شكرا لك .. ولكن أدجرتون وحده يعرف كيف يعد لى القهوة كما أريدها .. ثم انه سيهبط على كل حال .

ونظر كل منا الى الآخر على المكشوف .. وأخيرا ابتسمت ابتسامة باهتة

وقالت :

– هل يتذوق ادجرتون طعامك قبل أن تتناوله ؟

والحق يتعذر على ان أصفها .. اذا قلت انها مليحة فان الكلمة أقل من أن تفى بما أريد أن أقول واذا قلت انها جميلة فاننى أغالى ولكنها كانت على كل حال مخلوقة غريبة تتمتع بخليط من الجمال والذكاء قل ان يجتمعا معا .

وقلت :

– فيما عدا اعداد القهوة فاننى اترك لك حرية اعداد الطعام مع اللحم والبيكون أما مع الأصناف الأخرى فيكفينى عصير البرتقال .

ومهما كانت الظروف فاننى لا أقبل أن أتناول السمك فى أول وجبة من الطعام .

وفى العشاء ، فى تلك الليلة رفعت ملعقة الشوربة إلى فمى عندما استوقفنى أورفيل قائلا :

– لحظة واحدة يا تشارل .

قلت :

– نعم ؟

رأيت أن اورفيل وفريدى لا يبدو عليهما انهما راغبان فى الاكل وأشار أورفيل بيده الى المائدة وقال :

– كيف يمكن أن نطمئن الى أن كل هذا .. غير مؤذ ؟

نظرت إلى ملعقة الشوربة وقلت :

– لا أظن أن أمانتا تفكر فى تسميمنا فى أول ليلة نقضيها هنا .

ولكن أورفيل لم يطمئن وقال :

– لا أدرى .. ولكننى واثق ان أكثر القاتلات لا يستخدمن ذكاءهن .. لقد تحدثت أنا وفريدى فى هذا الشأن واستقرت نيتنا على اجراء وقائى .

وفى هذه اللحظة أقبلت أمانتا لكى ترى ان كان لا ينقصنا شىء وقالت :

– هل كل شىء على ما يرام ؟

ابتسم أورفيل وقال :

– كنا نهم باستدعائك .. نريد ان نتحدث معك فى شىء مهم .

– وما هو ؟

راح أورفيل ينتقى كلماته فقال :

– مسز ديفونتين .. ألا تظنين ان مائة وخمسين ألف دولار فى اليد أحسن من السجن فوق الشجرة ؟

قال فريدى :

– إن ما يقصده أورفيل هو أن كلا منا على استعداد لان يمنحك خمسين ألف دولار فى آخر العام .

حك أورفيل يديه وقال :

– مهما يكن فانك اخلصت فى عملك كمشرفة ومديرة للبيت لمدة – أربعة شهور – وعرفانا منا بجميلك نرى ان نمنحك مكافأة صغيرة .

ابتسمت أمانتا ابتسامة فاترة و استطرد أورفيل :

– لنواجه الحقائق يا مسز ديفونتين اذا بقينا كلنا على قيد الحياة .. أو

حتى اذا بقى منا واحد فقط فانك لن تحصلى على شىء من تركة العم بنتانى .. ولا سنت واحد ، نرى أن هذا ليس عدلا .

كانت عينا أمانتا تضحكان واسرع أورفيل يقول :

– والمائة والخمسون ألف دولار ملك لك دون قيد أو شرط .

وقال فريدى معقبا :

– وهذا المبلغ فى انتظارك لن تشعرى بأى ميل فى .. فى أن تجازفى فى الجلوس على الكرسى الكهربائى .. بأن تقدمى على عمل طائش .

ابتسمت أمانتا وقالت :

– هل ستعطينى خمسين ألف دولار يا مستر كراوفورد ؟

قال أورفيل :

– اعدك بذلك .

تحولت الى فريدى وسألته :

– وانت ؟

– بالطبع فاننى لا أريد أن أموت مسموما انا الآخر .

ونظرت الى عندئذ فقلت :

– كلا . والآن ، اذا لم يكن هناك اعتراض فسوف آكل .

عبس فريدى وقال :

– حسنا يا تشارل .. انت وحظك .. ولكن لا تنتظر أى عطف منى أو من أورفيل عندما تقع تتلوى من الألم على الأرض .

تحولت أمانتا لكى تنصرف .. ولكن أورفيل احتجزها وهو يشير الى المائدة قائلا :

– لحظة واحدة .. ألا تريدين أن تعيدى شيئا إلى المطبخ .. أعنى .. ربما هناك فى السلطة شىء مضر .

– كل شىء على ما يرام يا سيدى .

سرت نفحة من الالهام فى رأس فريدى فقال :

– لماذا لا تأكلين معنا يا مسز ديفونتين ؟ .. أعنى كل شىء ناكله .. إننا لسنا متعجرفين ، أليس كذلك يا تشارل ؟

اعتلجت شفتا أمانتا وقالت :

– هل لديك أى اعتراض على ذلك يا مستر ويكر ؟

أجبت :

– أبدا .. أرجو ان تنضمى إلينا .

ومنذ ذلك اليوم وأمانتا تأكل معنا .

وخلال الاسبوع التالى احضرت وأورفيل وفريدى حاجياتنا الشخصية ونقلناها ، كل منا الى غرفته وقد صح منا العزم على قضاء السنة فى البيت كل منا على طريقته الخاصة .

وفى ليلة ممطرة بعد شهر من ذلك قال فريدى :

– هل تعلمان أن هذه المنطقة مشهورة بممارسة الفودو .

ضحك أورفيل ساخرا وقال :

– ان الرجل المثقف لا يؤمن بمثل هذا السخف .

ولكن فريدى عاد يقول :

– اذا اشارت ساحرة بأصبعها إليك فستموت عند غروب الشمس .

تأوه أورفيل وقال :

– أرى الآن ان امانتا ليست الشخص الوحيد الذى .. الذى نخشاه معا..

تأمله فريدى لحظة ثم قال :

– ماذا تعنى ؟..

– أعنى أن من المحتمل أن أحدنا غير قانع بنصيبه من التركة ..

قال فريدى دون أن يرفع بصره إننى سعيد جدا بمليون دولار .

نظر أورفيل اليه فى حدة وقال :

– إن الجريمة يمكن أن تصبح عادة .

ابتسم فريدى وقال :

– ان المرأتين العزيزتين ماتتا قضاء وقدرا ، كانت كل منهما تحب الاستماع الى الموسيقى وهى تستحم ، وقد وقع جهاز الراديو فى البانيو ..

وتنهد وهو يقول مستطردا :

– وقد كذبت كل منهما على فلم تترك لى شيئا .. لم تترك لى أى شئ على الاطلاق .

وفى أصيل ذلك اليوم دخل أورفيل غرفة المعيشة وقد شحب لونه وراح

يلهث بشدة ، ومضى الى البوفية فأخذ كأسا من الويسكى احتساه جرعة واحدة ثم تحول الينا وقال :

– انها أشارت الى ..

رفعت عينى عن المجلة التى كنت أقرؤها وسألته :

– من ؟.. امانتا ؟..

– كلا ، بل امرأة عجوز شمطاء ، كنت أتمشى حول القصر عندما رأيتها عند شجر الصفصاف على مقربة من المستنقع ، لم تنطق بكلمة واحدة بل نظرت الى وأشارت باصبعها نحوى ، وأظن أنها ساحرة من تلك الساحرات الشريرات .

نظر فريدى الى ساعة الموقد وقال :

– مازالت هناك ساعة على غروب الشمس فما هى آخر أمنية لك ؟.

سألته :

– هل تحدثت إليها ؟..

هز اورفيل رأسه وقال :

– تحدثت إليها ؟.. كلا ، اننى هربت وأمعنت فى الهرب .

قال فريدى وهو يفرقع بأصابعه :

– هذه أسلم طريقة للنجاة ..

قلت :

– إن كل من يمارس الفودو يقول انه لابد مما لابد منه ، ولاريب انها

اشارت اليك لسبب وجيه ، لا شك أن بعضهم نقدها عشرة دولارات لكى تشير إليك فلماذا لا تنقدها أنت عشرين دولارا لكى ترفع عنك اللعنة وعشرين دولارا أخرى لكى تخبرك باسم الشخص الذى أوحى إليها بهذه الفكرة ..

تعلق أورفيل بهذا الأمل وقال :

– هل تظن ذلك ؟.

– طبعا فهكذا يربح السحرة أكبر جزء من دخلهم ، القى أورفيل كأسه وقال :

– لا يمكن لهذه العجوز أن تسرع فى المشى على كل حال ، سألحق بها.

وعاد بعد غروب الشمس بنصف ساعة وكان حذاؤه موحلا وكذلك ساقا بنطلونه ووجهه صارا خليطا من الاخضر والابيض وقال فى غيظ :

– لم استطع ان أجدها إننى هالك .

قلت فى فروغ الصبر :

– أورفيل .. انك مازلت على قيد الحياة حتى هذه الساعة اليس كذلك؟.

هز رأسه موافقا واستطردت أقول :

– ونحن الآن بعد الغروب اليس كذلك ؟..

رمش بعينيه وضم يديه وهو يقول :

– هذا صحيح إننا بعد الغروب ومازلت على قيد الحياة .

جفف العرق على وجهه ومسح نظارته ونظر إلينا فى فخر وقال :

– قلت لكما أن الرجل المثقف منيع ضد الفودو .

وأويت إلى غرفتى فى تلك الليلة فى الساعة العاشرة وأخذت معى من المكتبة كتابا لتنيسون ولم أكن قرأت له منذ أن كنت فى السادسة عشرة وبعد الحادية عشرة انتزعنى شئ ما من عالم القصور البيضاء والعذارى الشقراوات ..

لم تكن صرخة بمعنى الكلمة ولكنها كانت أشبه بصوت أجش ملح بدا لى أنه صادر من خارج نافذتى المفتوحة .

القيت الكتاب جانبا ، كان قمر محدوب يسطح خلف سحب من الضباب ويلقى ضوءا باهتا على المرجة القريبة من الغابة ولكننى لم أر بها شيئا .

نظرت تحت نافذتى مباشرة فرأيت مثلثا من النور يخرج من النافذة التى تحتها وهى نافذة غرفة أورفيل .

ونظرت إلى المرجة والى الغابة مرة أخرى .. هل صدر الصوت الذى سمعته من حيوان ما ؟.

هززت رأسى أخيرا وطرحت الأمر من ذهنى ولكننى بقيت مكانى أمام النافذة ، كانت ليلة جميلة وكان النسيم مشبعا برائحة زهور البرتقال.

اجتذب مثلث النور اهتمامى مرة أخرى فقد رأيت ظل شخص لم يكن أورفيل ثم ارتفعت ذراعان وأسدلتا الستار ..

وعدت الى مقعدى وأنا أشعر بغضة والقيت تنيسون فى سلة المهملات ثم مضيت الى البوفية وتناولت كأسا من الشراب ومضت ساعة وكنت سارحا

مع كأس الثانية ومع خيالى عندما سمعت صوتا مكتوما.. لم يكن هناك شك فى أنه طلقة مسدس ولكن هل اطلقت من النافذة التى تحتى أم من هذا الطابق بالذات ؟.

عبست ، كنت أنا وحدى الذى أقيم فى الجناح الشرقى بالطابق الثانى فيماعدا أدجرتون وكان أورفيل يقيم فى الغرفة التى تحت غرفتى .. أما أمانتا فتقيم فى الجناح الخلفى من الطابق الأول .

ذهبت الى غرفة ادجرتون وأصغيت ، كان واضحا انه راقد وانه يتنفس فى هدوء .

وهبطت وطرقت باب أورفيل طرقة خفيفة وانتظرت نصف دقيقة ثم طرقت الباب ثانية وادرت المقبض ..

كان أورفيل ملقى فوق السجادة أمام فراشه ووجهه نحو الباب وبجواره مسدس على بعد بوصات قلائل من يده اليمنى .

جثوت على ركبتى ، كان قد فارق الحياة .. اصابته رصاصة فى قلبه وكان هناك دم قليل .

ونهضت واتصلت بالبوليس ..

وأقبل المفتش بوشيه ومعه بعض رجاله من الضباط والفنيين ، وراح يستجوبنا حتى الصباح ثم تركنا نستريح قليلا .

وعاد بعد الظهر وكان يبدو أنه فى حاجة ملحة للنوم ولكنه أصر على استجوابنا للمرة الثانية ، وقال :

– مستر ويكر .. تقول انك سمعت الطلقة وهبطت إلى غرفة أورفيل ؟..

وإذ أومأت بالإيجاب عاد يسأل :

– هل لاحظت شيئا .. أو سمعت شيئا ما قبل أن تسمع الطلقة ؟..

أجبته :

– كلا ، لم أر أو أسمع شيئا على الاطلاق ، تحول عندئذ الى أمانتا وسألها :

– تقولين إنك لم تسمعى الطلقة مع أن غرفتك فى نفس الطابق الذى يقيم فيه مستر كراوفورد ؟.

شحب لونها وقالت :

– كنت غارقة فى النوم ولم أسمع شيئا .

قلت :

– كانت نافذتى مفتوحة ولم أكن أويت إلى فراشى بعد ..

قال فريدى :

– هل ستقومون بتشريح الجثة ؟.

أجابه بوشيه :

– إننا استخرجنا الرصاصة وتطابقت مع المسدس الذى وجدناه بجواره .

ونقل بصره فيما بيننا ثم قال :

– والظواهر تدل على أنه انتحر .

قال فريدى :

– هل تعتقد هذا حقا ؟.

ابتسم بوشيه ابتسامة باهته وقال :

– ولكن لماذا ينتحر رجل ينتظره مليون دولارا .

قلت :

– ربما كان مريضا .

هز بوشيه رأسه وقال :

– اننا اتصلنا بالدكتور الذى يعالجه وقال لنا أورفيل كرافورد يتمتع بصحة جيدة .

قلت :

– ربما أحس باكتئاب أو ربما تملكه خوف ، فان إحدى الساحرات أشارت إليه بأصبعها فى الليلة الماضية وعندما يخشى امرؤ الموت فأنه يحاول أحيانا التغلب على خوفه بإقدامه على الانتحار .

قال بوشيه :

– إننا اهتدينا الى الساحرة . وتعرف باسم العمة بلجامى ، وهى الوحيدة التى تمارس السحر .. والدولة تجرى عليها راتبا شهريا ، ولكنها تحتاج الى ثمن السجاير من وقت لآخر .

سألته :

– من الذى دفع لها ؟..

– انها لا تعرفه ، تقول إنها جاءتها رسالة مكتوبة على الآلة الكاتبة

ومرفق بها عشرون دولارا ، وفى الرسالة وصف دقيق للرجل المفروض أن تشير إليه وفيها اسمه كذلك .

ونظر إلى فى تفكير وقال :

– ولكن العمة بلجامى ضعيفة النظر وقد انتظرت ساعتين رغم البرد فما ان خرج أول رجل من البيت حتى أشارت له بأصبعها ثم اسرعت تغادر المكان ..

وابتسم بوشيه مرة أخرى وقال :

– وقد أشارت الى رجل آخر غير الرجل المقصود فقد كان المفروض أن تشير اليك أنت يا مستر ميكر .

وفى تلك الليلة جاءتنى أول دمية من المطاط وقد انغرز فى رأسها دبوس .

وفى صباح اليوم التالى جلست أمام طعام الافطار فى غرفتى وتنهدت فسألنى ادجرتون :

– ماذا بك ياسيدى ؟

قلت :

– اننى اشعر بألم غريب فى كاحل قدمى اليمنى .. وتسكع حولى بعد ان دهن قدمى بالمرهم وقال :

– هل استطيع أن أسأل شيئا يا سيدى ؟ إذا ورثت هذا المليون .. أعنى المليون والنصف الآن فهل تغير طريقتك فى الحياة ؟..

– كلا ، مالم يكن هناك سبب قوى لذلك ..

- أنت لست بحاجة الى المال إذن يا سيدى ؟..

- لا أظن ، ولكن المرء يشعر بالدفء حين يعرف أنه يملك مالا .

وبعد ان فرغت من الطعام جاء ادجرتون ليرفع الصينية فقلت :

- ادجرتون .. كانت القهوة مرة .

شحب لونه وقال :

- وهل شربتها يا سيدى ؟.

- طبعا شربتها .

- ولكن أظن أنك تسممت يا سيدى .

- قلت :

- هذا سخف ..

ولكننى كنت منزعجا وسألته :

- أنت الذى أعددت القهوة صباح اليوم أليس كذلك ؟..

- نعم يا سيدى.

وفكر لحظة ثم انبسطت أساريره وقال :

- نعم يا سيدى .. إننى اتذكر الآن .. أظن أننى تركتها تغلى وقتا أكثر من اللازم فقد انهمكت أنا والطاهية فى الحديث .

- وما هو الحديث الذى يمكن أن يجعلك تهمل قهوتى ؟..

- لاشك أن هذا هو السبب فى أنها مازالت طاهية ولم تصبح امبراطورة .

بعد ..

ومضى ادجرتون إلى الباب ومعه الصينية ، وفتحته له وإذا بربطة مستطيلة معلقة على المقبض وقال ادجرتون :

- ما هذا يا سيدى ؟..

أخذت الربطة وأزلت الورق عنها وماهى إلا لحظة حتى كنت أحملق فى دمية أخرى من المطاط وقد انغرز فى قدمها اليمنى دبوس .

انتقلت عينا ادجرتون من الدمية الى قدمى فقلت فى حدة :

- إن هو إلا مجرد وخز من وقت لآخر ولا شئ أكثر .

ونظرت إلى الدمية فى غيظ وقلت :

- كل هذا سخف .

- سيدى ، ليس هذا سخفا ، هل تعتقد حقا أن مستر كرافورد انتحر؟..

ولما لم أنطق قال :

- ارجو أن تغفر قولى يا سيدى .. إنك أحمق .

- ادجرتون .

بدا عليه الضيق ولكنه قال فى إصرار :

- أليست حماقة أن تجازف بحياتك فى هذا القصر .. مع قاتل .. أو قاتلة لشئ إلا لكى ترث مليونا ونصف مليون دولار لست فى حاجة إليها ..

- ادجرتون .. هناك أوقات أكون فيها عنيدا جدا ، واننى لأفضل أن أخرج من هنا محمولا على نقالة من أن أخضع لاى تهديد .

وبعد الغداء بقليل قمت بجولة حول القصر ، وبلغت ملتقى الطريق العام بالطريق الريفى المرصوف بالحصى ومضيت الى بعض أشجار الصفصاف وجلست فى ظل إحداها .

وكانت قد انقضت بضع دقائق عندما ظهر فريدى فجأة وسار إلى صندوق البريد ، الخاص بقصر كرافورد وألقى فيه مظروفا ثم نظر حوله متلصصا ولكنه لم يرنى .

وبعد نحو دقيقتين انقطعت أحلامى للمرة الثانية ، وظهر ادجرتون هذه المرة ومضى الى صندوق البريد بدوره .

وأخرج مظروف فريدى وبدأ يعالج لسان الظرف بمطواته وتقدمت إليه وأنا أقول :

– ادجرتون ماذا تفعل ؟.

أجفل ووقع المظروف من يده وهم بأن يهجم على ولكنه لم يلبث أن عرفنى فقال :

– أهو أنت يا سيدى ؟..

وتناولت المظروف من الأرض وقلت :

– برر موقفك يا ادجرتون .

بلل شفتيه وقال :

– حسنا يا سيدي ، خطر لى أنه إذا كان مستر ميريديث هو الذى أرسل إليك هذه الدمية فقد أستطيع ان اضبطه متلبسا بالامر ، أعنى انه ربماكان هو الذى يتصل بالسحرة وأنه ربما يطلب منهم إرسال دمية أخرى .

نظرت إلى المظروف ، كان معنونا باسم المفتش بوشيه فقلت :

– هل تظن أن بوشيه هو الساحر الذى يتعامل معه فريدى ..

كان ادجرتون مضطربا ومرتبكا طبعا ، وقال طالما سمعت أن هناك اناسا يخفون تحت ستار المدينة وحسن الغاية الأسود ولا أدرى لماذا يشذ رجال البوليس عنهم .

وأخذت أعالج لسان الظرف حتى فتحته أخيرا وأخرجت منه ورقة صغيرة مكتوب عليها بالآلة الكاتبة الكلمات التالية :

استخراج الرصاصة لا يكفى لماذا لا تقومون بتشريح الجثة ؟..

وكان ادجرتون يقرأ من فوق كتفى فقال :

– ماذا يعنى مستر ميريديث بهذا ؟.

طويت الورقة ووضعتها فى المظروف ووضعته فى جيبى .

اشمأز ادجرتون قليلا وقال :

– ألن تضع المظروف فى صندوق البريد يا سيدى ؟..

– كلا ..

واستجوبنا المفتش بوشيه مرة أخرى فى ذلك اليوم واليوم الذى يليه وكان من الواضح أنه يشك فى أن أورفيل قتل ولكن كان ينقصه الدليل على ذلك .

وقمت بجولة أخرى ولم أكن أتوقع أن التقى فيها بأماندا، ولكننا التقينا على مقربة من البيت عند عودتنا وبعد بضع كلمات عابرة وجدت نفسى أقول

– " سمعت أنك قضيت بعض الوقت فى السجن " ..

كان سؤالا فظا بعيدا عن اللياقة ولكننى لم أستطع أن أمنع نفسى وأنا أخشى ان تتجاهله ولكنها نظرت الى أشجار الصفصاف وقالت :

– نعم .. اننى اعترف بأنني قتلت زوجى .

– لماذا ؟.

نظرت إلى فى برود وقالت :

– طمعا فى ماله .

ابتسمت وقلت :.

– ما إلى هذا عنيت .. انما عنيت لماذا اعترفت .. يبدو لى أنك ذكية وأنك إذا أقدمت على جريمة قتل فلابد ان تستخدمى ذكاءك لكى تبعدى عنك كل شبهة ، وحتى إذا كنت قد قتلته فلم يكن هناك ما يحملك على الاعتراف طواعيه .

رفعت ياقة معطفها إلى عنقها قائلة :

– إن الطقس ازداد برودة .

ولكنني لم أتخاذل وقلت :

– إرضاء لفضولى وهو فضول لا مبرر له أرجو أن تردى على .. هل دسست السم لزوجك ؟.

– قلت لك بكل جلاء اننى اعترفت ..

– عزيزتى أمانتنا إنك تعلمين أننى ألقيت سؤالا محددا ، انك اعترفت

بارتكاب الجريمة وأنا أسـألك الآن هل كان لهذا الاعتراف أية صحة أو شرعية .

لم تنطق بكلمة حتى بلغنا الباب الخلفى للبيت وعندئذ قالت :

– إذا قلت لك لم أدس السم لزوجى فهل تتناول طعامك بعد ذلك وانت مستريح البال ؟..

– إن الأمر أهم من ذلك ..

ومضت عيناها فجأة وقالت :

– إنني قضيت أربعة عشر عاماً من أحسن أيام شبابى فى السجن أفلا تظن أن الحياة تدين لى الآن بجريمة قتل أو بجريمتين أوربما بثلاث جرائم .

ثم ابتسمت وتلألأت أسنانها فى جوف الظلام واستطردت :

– وأنا من الذكاء بحيث أستطيع أن أفلت من الجزاء ، ألست كذلك ؟..

وفى الصباح التالى وبعد أن فرغت من تناول طعام الافطار ترنحت قليلا وانا أغادر المائدة فأسرع ادجرتون الى وقال :

– سيدى ..

– إننى أشعر بألم كبير فى ركبتى .

وما كدت أنطق بقولى هذا حتى رأيت ابتسامة غريبة تلمع فى عينيه ولكنه أشاح بوجهه عنى حتى لا أراها فقلت فى بطء :

– الواقع أننى لا أشعر بأى ألم ولكننى رأيت أن أختبرك فقد فكرت فى

الأمر مليا وقد خطر لى فى بادئ الأمر أن هناك ميكروفونا فى غرفتى ولكننى فتشتها تفتشا دقيقا ولم أعثر على شئ .. وتظاهرت بعد ذلك بأننى أشكو من ألم فى كاحلى وعندما فتحت الباب بعد ذلك وجدت الدمية الثانية بمقبض الباب ولا يمكن أن يكون غيرك قد فعل ذلك .

أطرق برأسه وقال :

– نعم يا سيدى ..

– وأنت الذى حرضت الساحرة كذلك ؟.

– هذا صحيح يا سيدى .

– ادجرتون .. بماذا تبرر ذلك .

رفع عينيه إلى أخيراً وقال :

– إنني أخشى على حياتك يا سيدى .. وأنت تعلم أن بالبيت قاتلة وربما قاتل كذلك .

– استمر .

هز رأسه فى يأس وقال :

– إنك اعترفت بأنك لست بحاجة إلى المال ، ومع ذلك فمازلت تصر بكل حماقة على البقاء ، ولا أظن انك ستبقى على قيد الحياة بعد ذلك (وتنهد) وقد فكرت فى اخافتك لكى تبتعد عن المكان ولهذا لجأت إلى الأرواح لكى أصل إلى هذا الهدف .

– إن الأرواح لا تخيفنى .

بدا الاستياء على وجه ادجرتون فقلت فى رقة :

– اننى أشكرك على اهتمامك بى ولكن أرجو أن تقلع عن ذلك وان تكف على الفور .

– ولكنك فى خطر يا سيدى .

– اننى أستطيع المحافظة على نفسى .

تألق وجهه وقد خطر له خاطر مفاجئ فقال :

– خطر لى أن من الجائز أن تكون أنت القاتل .

– ادجرتون !.

ولكن الفكرة سيطرت عليه فاستطرد يقول :

– إذا كنت أنت القاتل يا سيدى فدعنى أشاركك سرك ، سأكتمه ولن أبوح به ابدا ولكننى سأشعر بالارتياح فاذا كنت أنت القاتل فمن الواضح أن أحداً لن يقتلك ولن أشعر بأى قلق عندئذ ، هل أطلقت النار على مستر كرافورد يا سيدى .

– ادجرتون .. فى هذا الكفاية .

وفى المساء وجدت أمانتا وحدها فى غرفة المعيشة ، فجلست بجوارها وبدأت اقرأ ولكننى لم ألبث أن القيت بكتابى جانبا وقلت فى هدوء :

– امانتا.. اننى أعلم أنك كنت فى غرفة أورفيل قبل اطلاق النار عليه بقليل .

حملقت فى بعينيها السوداوين وقالت :

– ولماذا لم تقل ذلك للمفتش بوشيه ؟.

- لم أجد ضرورة لذلك .

نظرت إلى فى شئ من الدهشة فقلت :

- امانتا .. هل أطلقت النار على اورفيل ؟.

أجابتنى بعد لحظة :

- نعم ..

قلت وأنا أتظاهر بالغضب :

- ما كان لك أن تقولى لى ذلك .

- ولكنك سألتنى .

- اعلم ذلك ولكننى .

- هل يحرجك قولى هذا ..؟ أترى أنه لابد لك أن تخبر المفتش بوشيه .

- فليذهب المفتش بوشيه إلى الجحيم .

واستطردت أقول وأنا أسير فى الغرفة جيئة وذهابا :

- ليس من الضرورى أن تقتلى الناس طمعا فى أموالهم .. يمكنك أن تحصلى على كل .. أعنى اذا أردت حقا .

وتعذر علي أن أنطلق بالمزيد فابتسمت ابتسامة باهتة وقالت :

- ولكنك لم ترض أن تعطينى خمسين ألف دولار لكى تضمن سلامتك وتتأكد من أننى لن أدس لك السم .

هززت رأسى وقلت :

- اننى لا أعطيك الملايين لكى أحميك واصونك ولكننى لا أدفع سنتا

واحدا لجزية أو أتاوة .. أعنى اذا كنت تريدين حقا أن تدسى السم لى فأنت حرة ..

وأحسست بأن ياقتى تكاد تخنق أنفاسى ورحت أقول :

- اننى أوثر أن تدسى أنت السم عن أن يدسه أحد آخر غيرك .

واتفق أن نظرت إلى المرآة فى هذه اللحظة فرأيت وجهى وقد اصطبغ بحمرة شديدة وبدوت كما لو كنت تلميذا صغيرا واستطردت أقول فى ضعف :

- ومع ذلك فما كان لك أن تقتلى أورفيل .

- ولكننى لم أقتله .. انما أطلقت عليه النار فقط .

وانتظرت تفسيرا فاستطردت :

- كنت قد فرغت من أعمال البيت ومضيت الى غرفتي عندما رأيت أورفيل كرافورد ملقى فى الردهة ونصفه الى الخارج ونصفه الآخر داخل الغرفة كما لو كان يبحث عن عون عندما انهار فجأة وكنت علي وشك أن أصرخ للمساعدة عندما .

وترددت فقلت :

- نعم ؟.

أطبقت امانتا عينيها لحظة ثم قالت :

- رأيت داخل الغرفة كأسا واقعة على الأرض وزجاجة ويسكى فوق المائدة وعندما شمتها .

ونظرت الى واستطردت :

– ألم تفهم ؟.. كانت تحتوي على سم .. وقد مات هو بالسم .. وفى البيت قاتلة .. كان من الواضح انني ساكون موضع شبهة و..

وبان الألم فى عينيها :

– أربعة عشر عاما فى السجن .. لم استطع احتمال هذا الأمر مرة أخري ، ولهذا جررت مستر كرافورد الى الداخل ورفعت الزجاجة والكأس من مكانيهما ..

وتنفست نفسا عميقا ثم استطردت :

– وذهبت الى غرفة البلياردو وجئت منها بمسدس وضعته فى يده وصوبته نحو قلبه وضغطت على الزناد .

هززت رأسى فى بطء وقلت :

– نعم ، وهكذا بدا كأنه مات بسبب طلق نارى ولم يكن هناك حاجة الي تشريح الجثة فسيقتصر الأمر على استخراج الرصاصة .

رفعت عينيها وسألتنى قائلة :

– هل ستخبر المفتش بوشيه بذلك ؟.

جلست بجانبها وقلت :

– ليس هناك أى داع لأن أخبره بأى شئ ، ولكن هناك سؤالا أريد أن أعرف الرد عليه ، إذا كنت لم تدسى السم لزوجك فلماذا اعترفت بذلك ؟.

أشاحت بعينها عنى وعندما تكلمت قالت فى أعياء :

– كان أبى على وشك أن يفقد كل شئ ، وكان غارقا فى ديونه وهو الذى

دبر أمر الزواج وأعد له .. كان يرجو أن يقرضه زوجى ما يحتاج اليه من مال ..

– ولكن زوجى رفض ؟.

– سخر زوجى منه وقال إنه عرف لماذا تزوجته وأن الأمر انقلب علينا..

– وارتجفت يداها وقالت :

– ودس أبى السم له بطريقة خرقاء .. وكان لابد أن يزج به فى السجن .

قلت وانا لا أستطيع أن أصدق :

– دس أبوك السم لزوجك وتحملت أنت المسئولية ؟.. أى أب يسمح بذلك ؟

اضطرم وجهها خجلا وقالت :

– قال إنه لن يعيش أكثر من سنة .. وانه يؤثر الانتحار على البقاء فى السجن ، وسألنى .

وتوترت اصابعها على منديلها وهى تستطرد قائلة :

– قال انني اذا تحملت عنه المسئولية فانني لن أقضى فى السجن إلا أقل من سنة وأنه عندما يموت سيترك رسالة يبرئ فيها ساحتى ..

– ولم يترك أية رسالة عندما مات ؟.

واجهتنى فى شئ من الضراوة وقالت :

– انه لم يمت .. ما زال على قيد الحياة حتى اليوم .. واكتشفت انه لم يكن مريضا أبدا .

واغرورقت عيناها بالدموع وقالت :

– بل انه بعد سنوات قلائل لم يفكرحتى فى الكتابة الى ..

طفلة وحيدة .. فتاة وحيدة .. امرأة وحيدة ولمست وجنتيها بأصابعى فى رفق ودخل ادجرتون الغرفة فى هذه اللحظة وقال :

– هل تريد شيئا آخر الليلة يا سيدى ؟.

نهضت وقلت :

– ادجرتون .. إن مسز ديفونتين لم تقتل أورفيل ..

انتقل بصره بيننا نحن الاثنين ثم قال :

– يسرنى هذا يا سيدى ..

– وانا الآخر لم أقتل أورفيل يا ادجرتون .

– يسرنى هذا من أجلكما يا سيدى .

وهم بأن ينصرف ولكننى أسرعت أقول :

– ادجرتون .

– نعم يا سيدى .

– خطر لى الآن انك ربما أن تكون أنت الذى قتلت أورفيل ..

رفع حاجبيه وصاح :

– أنا يا سيدى ؟..

– نعم .. خوفا على طبعا ، فأنت رجل أمين وربما خطر لك أن تحمينى

بأن تتخلص من الذين يهددون حياتى .

قال ادجرتون :

– كلا يا سيدى إنني لم أقتل مستر كرافورد .. بل إننى لم أفكر فى ذلك .

حككت أذنى فى تفكير وقلت :

– طالما أن أحدا منا نحن الثلاثة لم يقتله فليس أمامنا غير شخص واحد..

قال ادجرتون :

– نعم يا سيدى .

أخذت أذرع الغرفة جيئة وذهابا إلى أن وصلت إلى قرار فقلت :

– حسن جدا .. يجب أن أقتل فريدى .

قال ادجرتون :

– سيدى ..

هززت رأسى :

– إنني لا أفكر فى سلامتى أنا بالذات ولكننى أعرف أننى اذا مت فأن فريدى لابد أن يقتل أمانتا كذلك حتى يشعر بالأمان فان وجودها على قيد الحياة سيكون خطرا عليه ..

قالت أمانتا :

– تشارل .. أظن انني أنا التى يجب أن تقتل فريدى ، فلا أستطيع أن

أدعك تعرض نفسك السجن .

قال ادجرتون :

– سيدى و سيدتى .

وفى هذه اللحظة صدرت من الطابق الثانى صرخة فأجفلت قائلا :

– أنه فريدى .. هذا صوته .

قال ادجرتون :

– نعم ياسيدى .. أظن أن جهاز الراديو وقع فى البانيو وهو يستحم ولاريب أن الرجل المسكين قد صعقه التيار ..

ضاقت عينى وقلت :

– اننا فى الطابق الأول وفريدى فى الطابق الثانى فكيف عرفت ما حدث .

قال ادجرتون فى رفق :

– مجرد حدس يا سيدى ، فاننى أعرف ان جهاز الراديو موضوع فوق الرف فوق البانيو وعلى الرغم من أن هذا الرف يبدو متينا فإن ، أقل ارتطام بالحائط يجعله يقع فى البانيو .

قدرت ادجرتون عندئذ وأدركت قيمته وأعربت له عن ذلك ولكنه ظل محتفظا ببراءته .

ماذا أفعل بالله بثلاثة ملاين من الدولارات .. تنهدت .. ربما نستطيع نحن الثلاثة أن نهتدى إلى حل .

الشبح الظريف

عندما اكتشفت ، أنا والين ، حانة (تروتنج اين) ، خيل لنا انه المكان الذى نبحث عنه بالذات ، كان المبنى نفسه قديما جدا ولكنه كان يبدو جميلا وكان المطبخ ملائما والمعدات والتركيبات لا بأس بها ، كان البار بحاجة الى الطلاء طبعا وكانت هناك ثمة أشياء تحتاج الى تعديلات وتحسينات ولكن كان لدينا من الوقت ما يكفى لكى ننجز ذلك ، وكانت الحانة تأتى بعائد لا بأس به كما كان المطعم يدر ربحا كبيرا ، وكنا علي مقربة من جيتسبورج مما يجعل المصطافين يرتادون الحانة ، وكنا على مقربة من بلتيمور بحيث نستطيع أن نتزود بالأسماك الطازجة التى تخصصت الحانة فى إعدادها ، وقد أراد صاحب الحانة السابق الاعتزال ، وكان الثمن المطلوب معقولا ، وبمساعدة فعالة من البنك استطعنا شراء المكان ..

وتسببت لنا الأسابيع القلائل الأولى فى بعض القلق والانزعاج ، وكنا أنا والين قد اعتزلنا المسرح منذ وقت قريب ولم يكن الانتقال الى مهنة الطاهى والساقية من الامور السهلة ، ولكن صاحب الحانة السابق بقى معنا يساعدنا حتى فهمنا العمل تماما، وبعد مرور شهر كنا نقوم بكل شئ

وتغيرت الأمور وراجت الأعمال وعندئذ سمعناه لاول مرة .

وكما سبق لى القول فان حانة تروتنج كانت عبارة عن مبنى قديم ، وبالطبع سلم يؤدى الي دور علوى ، وكانت هناك تحسينات كثيرة كان لابد من أن نقوم بها ، ولكننا قررنا الانتظار حتى نحصل على ربح لا بأس به قبل أن نفكر فى إجراء أى شئ وبعد أن فحصنا الدور العلوى أول مرة لم يفكر أى منا فى الصعود إليه مرة أخرى .

وقد حدث ذلك فى وقت متأخر من ليلة الأحد .. كان آخر الرواد قد انصرف ، وكنت قد أغلقت الأبواب ، وراحت الين تغسل الأطباق والأكواب فى البار ، فى حينَ انهمكت أنا فى تنظيف المطبخ ، وكنا نشعر بالتعب والإرهاق ، وفيما عدا الصوت الخافت الذي كان يصدر منا كان الهدوء يسود المكان ، وفجأة دوي صوت ارتطام فى الطابق العلوى تبعه صوت بدا أشبه بصوت قزم مخيف فى دور الاحتضار ، وسرعان ما تلاشى الصوت ولكن تبعه صوت تحطيم فى البار فقد أفلتت صينية الأكواب من الين واندفعت خارجة من البار والقت بنفسها بين ذراعى وهى ترتجف كالأرنب المذعور ، وأعترف انني كنت أرتجف أنا الآخر ولكن كان على أن أتظاهر بالهدوء والرزانة .. كنا قد انهمكنا فى عملنا فى تلك الليلة ، فخطر لى عندئذ أن بعضهم ضل طريقه وهو يبحث عن دورة المياة ، ودخل المطبخ دون أن أفطن اليه ،وصعد السلم الخلفى ، ثم غلبه النوم فى أحد الأسرة القديمة ولم يكن هناك باب آخر يؤدى إلى الدور العلوي ، ولهذا لم يكن ميسرا لاى شخص أن يصعد إليه عن طريق آخر غير طريق المطبخ .

وحاولت أن أهدئ الين ، ثم أضأت نور السلم وصعدت ودخلت الغرفة

متوقعا أن أجد رجلا مخمورا راقدا على الأرض ، ولكننى لم أجد أحدا ، ونظرت تحت الأسرة وداخل الدواليب وفتشت المكان جيدا ، لم يكن هناك أحد على الإطلاق فهبطت لكى أطمئن الين ..

ورفعنا الأكواب التى تحطمت وحاولت أن أشرح لالين أن الصوت الذى سمعناه لاريب قد صدر من احتكاك بعض أغصان الشجر بالخارج ، أو لعله اصطدام عربة نقل بأحد الثيران ، واستردت الين جأشها أخيرا ورحنا نضحك ونحن نستعد للانصراف ، وخرجت الين وجلست فى العربة فى حين اطفأت أنا الأنوار بالداخل ، وعندما هممت بادخال المفتاح فى قفل الباب سمعت اسخف ضحكة صكت مسمعى فى حياتى ، وكانت صادرة من الدور العلوى ، ولكنني أغلقت الباب وعدنا الى البيت .

وانهمكنا فى عملنا فى الأسابيع الثلاثة ، وبدأنا نتعرف على الأهالى ، وسررنا للطريقة التى تقبلونا بها ،و كان المعروف عن أهالى هذه المنطقة بالذات أنهم قوم لا يحبون من يفرض نفسه عليهم ، ولهذا بقينا علي الحياد حتى اطمأنوا إلينا وبدأوا يرتادون حانتنا ، وهكذا بدأت الأمور تسير على أحسن ما يكون .

وسمعته مرة أخرى يوم الثلاثاء .. كانت الين قد ذهبت إلى هانوفر لابتياع بعض ما نحتاج اليه ، وكنت وحدى فى البار مع سى راوزر ، أحد الرواد المألوفين ، وكان يقيم فى مزرعة تبعد عن الحانة بنحو ثلاثة أميال وكان والداه يديران المزرعة ، ولم يكن هناك ما يشغله .. كان قد تناول كأسين من البراندى وقدحين من البيرة وهو يتناول غداءه وجلس فى آخر البار وقد دفن رأسه بين يديه عندما سمعنا صوت الارتطام فى الغرفة

العلوية ..

رفع سى رأسه نحو السقف وضحك ثم قال :

– أنه صاحبنا القديم .

مضيت إلى المطبخ لكى أصعد ولكن سى خاطبنى قائلا :

– لا يوجد أحد فى الطابق العلوى .. إنه شبح .

عدت الى البار وأنا أقول :

– شبح .. ماذا تعنى ؟.. وماذا يفعل فى حانتى بالله ؟..

– لا تقلق .. إنه موجود فى الغرفة العلوية منذ أن شيد هذا المكان ، وقد حدثنى أبى عنه وأنا طفل ، وهو شبح ظريف لا يؤذى ولا يزعج أبدا ، كل ما هنالك أنه يحب أن يصدر صوتا من وقت لآخر لكى يلفت إليه الأنظار ، وكأنه يريدك أن تعرف انه موجود ، ليس هناك ما تخشاه من ناحيته فهو لا يؤذى ولا يضر .

حاولت أن أتقبل تفسير سى ولكنه أمر لم يكن سهلا ، كانت الأصوات التى تصدر من الطابق العلوى تثير الحيرة فى عدم أنتظامها وصدورها فى أوقات مختلفة على غير انتظار ، فذات يوم يكون جوه معتدلا ترن ضحكة رقيقة فوق رؤوسنا ، وفى يوم من أيام السبت التى يزدحم فيها البار تسمع صيحة مروعة كتلك الصيحات التى يرسلها كنج كونج ، فى صراعه مع سوبرمان ، وقد قمت بتفتيش دقيق فى كل مرة ، ولكن دون جدوى ، فقد كان كل شئ فى الطابق العلوى كما هو الغبار يعلو الرياش والمفروشات مما يدل على أن أحدا لم يلمسها أو يقربها ، وأخيرا طرحت الموضوع عن ذهنى

واعتزمت أن أعيش مع الشبح ، بل إننى كففت عن التفتيش والبحث ، وبدأنا نستخدم السلم فى تخزين صناديق البيرة ، كان العمل رائجا ولم أكن مستعدا لكى أرى شبحا سخيفا يعوقها ، ولكن كان من المزعج أن تسمع قهقهة عالية وأنت تشاهد مباراة الكرة بعد الظهر فى التليفزيون .

والغريب أن قليلا من الرواد فيماعدا الرواد المألوفين قد لاحظوا ذلك ، كان الرواد المعتادون يهزون رؤوسهم مبتسمين ويرهفون السمع فى صمت ، فى حين كان الباقون يستمرون فى تناول طعامهم أو شرابهم كما لو أن شيئا لم يحدث .

ثم بدأ الأمر مع زجاجة من الويسكى الفاخر ماركة دانت ، وهو نوع من الويسكى المصنوع من الحنطة ولا يميل الرواد العاديون الذين يختلفون الى البار الى تناوله ، ولهذا بقيت هذه الزجاجة مكانها دون أن تمس ، وكانت فوق الرف مع غيرها من الزجاجات الأخرى التى لا تمتد إليها اليد ، وكنت انفض عنها الغبار كل يوم اثنين وكل يوم خميس ..

كنت قد فتحت المحل فى صباح الثلاثاء ، وجاءنى عميل وطلب كأسا من الويسكى والصودا ، فوضعت قالبا من الثلج فى الكأس وصببت الويسكى فوقه ، ثم مددت يدى تحت الطولة لكى أتناول زجاجة الصودا ، وإذا بيدى تخرج بزجاجة ويسكى دانت ، وخطر لى عندئذ ان الين نقلتها من مكانها فأعدتها حيث كانت وأخذت زجاجة الصودا وعندئذ سمعت صوتا فى الطابق العلوى كان أشبه باصطفاق باب أعقبته قهقهة ووقع أقدام رقيقة تجرى ، سمعت كل ذلك ولكن بدا أن العميل لم يسمع أى شئ من هذا .

وأقبل كينى الساقى الذى استخدمته ، فى الساعة الحادية عشرة ليعاونني في ساعة الغداء ، فتركته للإشراف على البار ثم مضيت الى السلم وصعدت الى الطابق العلوى للتفتيش ، كان كل شئ كما تصورت تماما ، لم يكن هناك أحد ولم ينتقل أي شئ من مكانه ، ومشيت فى الغرفة الشاغرة وأنا أتمتم فى صوت خافت ثم أغلقت الباب وهممت بالهبوط عندما سمعت القهقهة مرة أخرى .

ومنذ ذلك الوقت بدا كأنه دعابة ، فقد كانت زجاجة دانت تبقى مكانها فى أغلب الأوقات ، ولكننى لا ألبث أن أجدها فى الثلاجة أو خلف صناديق البيرة فى السلم أو فى المطبخ بين الأطباق والصحاف ، ووجدتها ذات صباح فوق الحاكى ، ولم أملك نفسى عندئذ فرحت أوبخ مداعبى الخفى وأجابتني عندئذ ضحكة خافتة .

وجاء وقت بدا فيه أن الشبح قد تعب من هذه اللعبة ، وانقضت أسابيع عدة والزجاجة فى مكانها العادى لا تبرحه ، بحيث أحسست بالملل وبحاجتى إلى شئ من النشاط ، وفتحت المحل صباح يوم أحد فاذا بى أجد زجاجة دانت فوق الطاولة مفتوحة وقد أفرغت حتى النصف وبجوارها كأس وكوب به قليل من الماء .. ورفعت رأسى إلى الطابق العلوى عندئذ وصحت بأعلى صوتى أقول :

– لا أبالى بمداعباتك السمجة ، ولكن إذا أردت أن تتناول بعضا من الويسكى فاشرب من الويسكى العادى ودع هذه الزجاجة فهى غالية الثمن .

وضج الطابق العلوى عندئذ بالضحكات والقهقهات المرحة والدق على الأرض ، ولم أمنحه الفرصة وأرضيه بالصعود لكى أفتش المكان ، وأقبل

عميل فى هذه اللحظة فعاد الهدوء الى الطابق العلوى بقية اليوم ..

واختلف كثير من الرواد الى البار فى ذلك اليوم ، بحيث لم أجد متسعا من الوقت لكى أفكر فى الشبح السكير الذى يقيم فى الطابق العلوى وجاءت الساعة الواحدة من صباح يوم الأحد وأنا جد مرهق ، وكانت إلين قد عادت الى البيت ، وكان كينى قد فرغ من تنظيف كل شئ تقريبا وانصرف فى الساعة الواحدة والنصف ، وراح العملاء القلائل الباقون يغادرون البار تباعا إلى أن وجدت نفسى مع رجلين لم يبد على أى منهما أى ميل للكلام فصببت لنفسى كأسا أخيرة ووقفت أترقب انصرافهما .

كان كل منهما غريبا لم يسبق لى أن رأيته ، وكان الجالس إلى يمين البار نحيفا فى نحو الثلاثين من عمره ، فوق عينه اليسرى ندبة ، اما الآخر فكان يبدو أصغر سنا تدل هيئته على أنه من رافعى الأثقال .

وفرغ الرجل النحيف من مشروبه وأشار الى أن املأ كأسا من جديد ثم قال :

– وصب لنفسك كأسا على حسابى ..

ملأت له كأسا وملأت كأسا لزميله ، ثم صببت لنفسى كأسا آخر ، وعندما رفعت عينى ألقيت نفسى أحدق فى فوهة مسدس عيار ٣٨ .

وقال الشاب النحيف :

– حسنا ، أغلق المحل الآن فلا نريد أحد آخر الليلة .

ولم تترك لهجته أو طريقة تصويبه للمسدس أى مجال للاحتجاج وتبعنى الى المطبخ حيث أدرت المفتاح فى الباب الخلفى .

وظل ورائى وأنا أضع الاقفال فى الباب الجانبى والأمامى ، واطفأت الأنوار الخارجية ثم الأخرى ، كنت بينهما كالفأر فى المصيدة .

قلت كما يقول أى جبان عادى فى مثل موقفى :

– اصغيا إلى ، خذا كل ما تريدون وانصرفا ، اننى لا أريد أية متاعب ..

ضحك الشاب النحيف وقال يخاطب صاحبه ساخرا :

– هل تسمع يا جو . .. انه يريد منا أن ننصرف .. أليس هذا مضحكا ؟

ثم تحول إلى ، وسرت فى بدنى رعشة شديدة وأنا أنظر الى عينيه الزرقاوين .. كانتاً باردتين وأدركت مما ارتسم فيهما اننى هالك لا محالة ، وقال :

– لعلك لا تمانع فى أن نفرغ من الشراب قبل أن ننصرف أليس كذلك ؟.. اننا سنبقى فترة أخرى .

وضحك زميله ضحكة لا تبشر بالخير وجلسا يحتسان شرابهما ، وصببت لنفسى كأسا متوهما أنها قد تساعدنى على التغلب على خوفى .. وقال الرجل النحيف :

– ابتعد عن آلة التسجيل .

امتثلت وانتقلت الى الناحية الأخرى حيث كان يجلس وقال يخاطب صاحبه :

– والآن خذ النقود .

وتقدم زميله القصير من البار وأخذ كيسا من الورق من تحت الرف وبدأ يضع فيه الأوراق المالية .

وفى هذه اللحظة صدر دوى شديد فى الغرفة العلوية كما لو أن بعضهم صفق الباب فى غضب ، فرفع الرجل القصير رأسه عن آلة التسجيل فى حين نظر النحيف إلى السقف ثم انتقلت عينه إلى وقال فى حقد ورعب :

– حسنا .. من الذى فوق ياصاح ؟.

وكنت أعلم انه ليست هناك أية فائدة فى قول الصدق فقلت :

– شبح الجنرال كاستر وفرقة كاملة من الهنود .

الفرار

" الفرار كلمة يسهل النطق بها ، ومن اليسير التخطيط له ولكن من الصعب تنفيذه لأننا نحمل ضمائرنا معنا أينما نذهب "..

كان بول ويلتون يقيم فى ضواحى المدينة فى ظل مطار كبير دولى وأصبح صوت الطائرات الكبيرة النفاثة وهى تصعد فى الجو وتهبط الى أرض المطار جزءا من حياته المنزلية تقريبا ويتجاوب أزيز محركاتها الهادرة بين جدران بيته كبندول الساعة . كان يأوى الى فراشه ليلا وهديرها يدوى فى أذنيه وكان الهدير أول شىء يسمعه عندما يصحو من نومه فى الصباح .

وعلى النقيض من جيرانه لم يكره بول المعيشة على مقربة من الضوضاء والخطر ولم يرض أبدا أن يوقع على الالتماسات التى يقدمونها ويشكون فيها من ضوضاء الطائرات والخطر من قربها منهم ورغبتهم فى نقل المطار الى منطقة اخرى .. والواقع أن بول ويلتون كان يحب الإقامة بجوار المطار ويحب صوت المحركات المستمر فى أذنيه .. وكان قد اشترى البيت بسبب ثمنه المنخفض فى البداية .. وحين وقف فى ذلك اليوم يعاين البيت والمكان

وينظر الى الطائرة الكبيرة النفاثة وهى ترتفع فى الجو ببطء ثم تنطلق فى أجواء أخرى تملكه الانفعال وتسارعت نبضات قلبه وتغصد العرق من يديه . فى تلك اللحظة بالذات عرف انه سيشترى البيت .

ولعل السبب الأكبر الذى حداه الى شراء البيت هو أنه خيل له أنه يقرب بذلك حلمه إلى عالم الواقع أكثر .. فقد كان يحلم بأنه يجلس فى أحد مقاعد الطائرة ، وأنها ترتفع به فى الجو وتمضى به الى مكان آخر غريب وفى جيبه مبلغ كبير من المال وبجواره أرملة جميلة .. ولم يرق البيت لزوجته مارى ولكن مارى لم يكن يروق لها أكثر الأشياء التى يقدم عليها .. ولهذا لم ينزعج واشترى البيت على الرغم من كل شىء .

ثم إنه اشترى البيت لسبب آخر هو حصوله على ترقية جعلته قريبا من النقود التى حملته الى أن يخطط لكى تكون إقامته بجوار المطار .. ولكن من المؤكد أن المطار هو الذى حمله على أن يخطط لكى يسرق ما يكفيه لكى يعيش فى بحبوحة هو وروبرتا فى البلاد الاستوائية .. روبرتا ؟ .. نعم إنه حصل على المرأة الجميلة كذلك ، فقد عثر عليها بمجرد انتقاله الى البيت الجديد والى عمله الجديد بالمصرف .. كانت هى المرأة التى يريدها بالذات سمراء الشعر يضفى عليها عملها فتنة وسحرا فقد كانت تعمل عارضة أزياء وتمثل فى بعض البرامج التليفزيونية .. وكان يبدو أن كل شىء قد وجد مكانه الحق فى نفس الوقت الذى بدأ يقضى فيه لياليه وعطلات نهاية الاسبوع على كثب من محركات النفاثات كما لو أن نغمات محركاتها الهادرة هى نفس نغمات حياته على النمط الذى كان يتمناه ويرجوه .

وبدت عطلة نهاية ذلك الأسبوع بالذات كغيرها فى الظاهر وفى الظاهر

فقط ، فقد كانت هى العطلة التى ينوى أن ينفذ فيها خطته .. وقد تحدث بأمرها مع روبرتا بالأمس فقط ووافقته عليها .. كان قد كتم عنها كل شىء حتى آخر لحظة فقد كان يخشى أن ترفض الذهاب معه .. ولكن عندما حدثها بأمر النقود بدت عليها اللهفة وتاقت هى الأخرى إلى الرحيل إلى أراض وآفاق غريبة .

ولهذا عندما عاد الى بيته فى ذلك اليوم وقف فى الفناء لحظة ينظر الى السماء ويصغى الى هدير المحركات الكبيرة فوقه مدركا أنه سيكون فى إحدى هذه الطائرات بعد ساعات قلائل وكان الثلج قد بدأ يتساقط والسطح منخفضا جدا فراحَ الثلج يلفح وجهه ويخدر بشرته .. ومنعه السقف من رؤية الطائرات ولكنه استطاع أن يسمع أزيزها .

ومضى إلى البيت ونضا عنه معطفه وعلقه فى الدولاب ثم ذهب الى غرفة المعيشة وكانت مارى تتكلم فى التليفون .. وعندما دخل نظرت إليه من فوق كتفها وقالت :

– ها هو قد أقبل .

وأشارت اليه لكى يأخذ السماعة فأخذها منها وقال :

– آلو .

وسمع صوتاً يقول له :

– هنا مكتب المطار .. نريد أن نتأكد هل تسافر الليلة .. مستر بول ويلتون ، أليس كذلك ؟

أجاب بول :

– نعم .. هل ستقلع الطائرة فى الوقت المحدد . ألن تؤجل الرحلة بسبب العاصفة ؟

قال الصوت :

– إن المعلومات التى لدينا تشير الى أن الطائرة ستقلع فى موعدها . نرجوك المرور بالشباك لكى تأخذ تذكرتك قبل الطائرة بنصف ساعة على الأقل .

استدار بول .. كانت مارى تنظر اليه وسألته :

– لماذا اتصلت شركة الطيران بك ؟

نظر بول اليها منتقدا وهو يعلم بأنه سيكون حرا بعد ساعة أو ساعتين . والواقع أنه لم يدر حتى الآن لماذا تزوجها .. جلس كل منهما بجوار الآخر فى حصة البيولوچيا .. كان هذا هو السبب الوحيد الذى يستطيع أن يذكره .

كانت امرأة صغيرة .. كانت جميلة منذ ثمانى سنوات وكان يفترض أنها مازالت جميلة بالنسبة لغيره على الرغم من أنها أصبحت سمينة أكثر من اللازم بالنسبة لذوقه هو .. وقال :

– إن البنك يرسلنى مرة أخرى إلى فلادلفا .. كان قد احتاط للامر منذ أن حصل على ترقية ، أى منذ سنتين .. وتظاهر بأن البنك يرسله أسبوعيا فى مهمة مزعومة لكى تعتاد على غيابه وكان يقضى وقته طبعا مع روبرتا مخصصا لذلك حصة صغيرة من النقود التى يسرقها .

سألته مارى فى غير اكتراث :

– أظن انك ستغيب طوال العطلة إذن ؟

قال :

– أخشى ذلك .. هل أعددت العشاء ؟

ذهبت إلى المطبخ قائلة :

– إنك تعرف أننى أعده دائما .

وأتته بالطعام ، ولم يكن شهيا فقد أعدته بدون شغف منذ نصف ساعة وهى تعرف أنه سيأتى فى الموعد المعتاد لكى يأكله ساخنا .. ونظر إلى الوعاء الالمنيوم وهو يقول لنفسه إنه سوف يتناول ابتداء من الغد كل ما لذ وطاب .

وأكل على عجل وبدون أى استمتاع ثم مضى إلى غرفته فاستبدل ثيابه وحزم حقيبته بسرعة ثم عاد إلى غرفة المعيشة ونظر إلى ساعته وقال :

– حسنا .. أظن أن من الأوفق أن أذهب الآن ، فيجب أن أصل إلى المطار قبل الموعد بقليل فى مثل هذا الجو .

قالت مارى :

– أواثق أنت أن طائرتك ستنطلق الليلة ؟

أجاب :

– كل الثقة .. إن مثل هذا الجو لا يوقف الرحلات الجوية .

وعلا أزيز احدى الطائرات فوقه فقال :

– هل تسمعين ؟

قالت :

– لولا هذا السياج لتمكنت من الذهاب إلى المطار من الطريق الخلفى للبيت .. إنك أحببت المعيشة فى هذا المكان ومن سوء الحظ أنك لم تستطع أن تفتح بابا فى هذا السياج .

قال :

– سأستدعى سيارة أجرة .. انتظرى .. اننى نسيت شيئا .

وخرج من البيت وأسرع خلال الثلج المتساقط إلى الجاراج وفتح صندوق السيارة وأخذ حقيبة بسوستة أخرج منها حزام النقود ثم فك أزرار قميصه ووضع الحزام حول وسطه .. وأعطته النقود الإحساس بالقوة والأمان على الرغم من أن أصابعه أخذت ترتعش وهو يربط الحزام .. ثم زرر قميصه وعاد الى البيت لكى يأخذ حقيبته ويتكلم فى التليفون لاستدعاء سيارة الأجرة .

وعند عتبة الباب ، والحقيبة فى يده وقف مترددا ، ونظر إلى مارى وأخيرا قال :

– إننى ذاهب .

وكانت تقلم أظافرها فلم ترفع عينيها إليه وقالت :

– كن حريصا .

أجاب :

– إنك تعرفيننى . أننى حريص دائما .

وفتح الباب وخرج الى الفناء .. لن تمضى دقائق حتى تأتى سيارة

الأجرة ، ولكنه أراد أن ينتظر خارج البيت ووقف فى الطريق الذى يغطيه الثلج ينتظر وهو ينظر حوله .. لم يكن يترك شيئاً هنا ، فإنه لا يعرف جيرانه تقريبا .. ولم يتبادل معهم غير بضع كلمات من فوق السياج وهذا كل شيء حتى فى البداية لم يكن بينه وبين مارى أى شيء أكثر من البيولوجيا وتمنى لو أنهم لم يجلسوهم فى هذه الحصة تبعا لترتيب الحروف الأبجدية .. لا شيء هنا يتركه فيما عدا أزيز الطائرات وهدير المحركات ، وهو راحل معها الآن .. وجاءت سيارة الأجرة فمضى إليها من غير أن يلقى نظرة الى الوراء وقال يخاطب السائق :

– إلى المطار .

قال السائق وهو ينطلق :

– يالها من ليلة ، هل ستستقل الطائرة .

قال بول فى ارتياح كبير :

– نعم . إننى سأستقل الطائرة الليلة .

قال السائق فى مرح :

– تقول النشرة إن عاصفة شديدة قادمة فى الطريق وإن درجة الحرارة منخفضة والرياح عالية .. إنها عاصفة ثلجية عنيفة يسرنى أننى سأفرغ من عملى بعد ساعة .

دخل بول المحطة المضيئة الدافئة وقد بدا الانفعال يتملكه .. انه سيسافر حقا .. لقد تحقق الحلم أخيرا .. إنه جاء إلى هذه المحطة مرارا قبل ذلك على الرغم من أنه لم يركب الطائرة فى حياته حتى الآن .. فقد

أعتاد أن يأتى إلى المحطة من وقت لآخر ليراقب الناس الذين يأتون ويذهبون متنقلين فى رحلاتهم الغامضة ، وكان يحلم باليوم الذى سيركب فيه الطائرة بدوره ويقوم برحلته الغامضة هو الآخر .

– سيتأخر إقلاع الطائرة تأخيرا بسيطا .

ركض قلبه بين ضلوعه .. كان هذا أول صدع فى الخطة الكاملة وأدار رأسه ورأى روبرتا جالسة فوق مقعد مستطيل تقلب إحدى المجلات ، وقال يسأل الموظف :

– ولكنها ستقلع ؟ .. أليس كذلك ؟

نظر الموظف اليه وقال :

– ان التعليمات التى لدى تقول إنها ستتأخر قليلا .. خذ طائرتك من الباب رقم ١٢ .

دس بول التذكرة فى جيبه وسار الى منتصف المحطة واشترى كتابا وقالبا من الشيكولاته وجلس فوق أحد المقاعد وحاول أن يقرأ الكتاب .

وعند موعد قيام الطائرة أعلن المذيع أن هناك تأجيلا نحو نصف ساعة . وتململ بول فى مقعده واستطاع ، من خلال الباب الزجاجى أن يرى الثلج وقد ازداد تساقطه .. وفتح الباب مجرد لحظة فاندفعت هبة من الهواء البارد ثم عاد الدفء من جديد .

وعندما انتهت النصف ساعة أعلن ان انطلاق الطائرة قد تأجل نصف ساعة أخرى .. ومضى بول الى الشباك ليتناقش مع الموظف ولكنه رأى كثيرين غيره قد سبقوه وان الموظف لم يستطع ان يقدم لهم غير معلومات

قليلة فاستقرت نيته على أن لا يقول شيئا لأنه لم يشأ أن يلفت الأنظار اليه نظر الى روبرتا مرة أخرى ورآها تنظر اليه وأحس برغبة شديدة لكى يسرع إليها وان يجلس معها ويتناول معها القهوة ويتحدث فى هذا التأجيل .. ولكنه قاوم نفسه وبدلا من أن يمضى إليها اكتفى بأن ينظر إليها فى غير اكتراث بعد أن عادت تقلب صفحات مجلتها وهو يقول لنفسه إنهما سيكونان معا فى مكسيكو غدا وبعد غد فى أمريكا الجنوبية وبعد ذلك فى أى مكان يرغبان الذهاب اليه .

ومضى الوقت ثم أعلن المذيع قيام الطائرة فأسرع بول إلى الباب رقم ١٢ وبسط تذكرته .. ومشى فى العراء حيث تقف الطائرة .. وكانت الريح تصفر بشدة واضطر أن ينحنى وأن يمسك قبعته حتى لا تطير .. وراح الثلج البارد يندفع نحوه وأحس بالبرد ينخر عظامه وهو يصعد إلى الطائرة .

وحيته المضيفة ووجد مقعدا بجوار النافذة وأحس بانفعال شديد وهو يرى ان الرحلة وشيكة الوقوع ولم يشعر بأى اضطراب لأنه يركب طائرة نفاثة لأول مرة فى حياته وانتظر فى هدوء بينما كانت الطائرة تدور ثم تقف وقد أخذت أهبتها للتحليق .

وعندما بدأت الطائرة تتحرك نظر إلى الجناح الذى تجلس فيه روبرتا فرآها من قفاها تتشبث بمسند المقعد وبدأت الطائرة تتحرك فى بطء شديد وبدا أنها تأخذ وقتا طويلا لكى تحلق فى الجو .. وضم يديه معا فى حجره فى انفعال كبير .. إنه ذاهب الآن .. ذاهب الى الأبد .

وحدث تغيير فى صوت المحركات ، وألقى نظرة من النافذة فرأى الطائرة ترتفع عن الأرض التى يغطيها الثلج .. وارتجفت الطائرة وخيل إليه انه يجب

أن تكون قد حلقت فى الجو الآن وأراد أن يتحدث مع أحد ولكنه التزم الصمت والهدوء فلم يشأ أن يظهر جهله بالرحلات الجوية .

وارتفعت الطائرة عن الأرض فجأة ولكنها لم تلبث ان ارتطمت بالأرض ومالت الى أحد جانبيها ثم اعتدلت ثانية وأدرك حينئذ أنها تواجه مشكلة . ورأى أنوار العربات تحت فى أرض المطار .. ثم تمايلت الطائرة وهوت وارتطمت بالأرض وبدا الناس يصرخون ويصيحون بدخلها .

وكان قد وقع له حادث تصادم سيارة فى الطريق العام ولكن هذه الصدمة كانت أشد وأسوأ فقد بدا ان الطائرة تترنح ثم دوى انفجار فى مكان ما أعقبه ارتطام الطائرة بالأرض مرة أخرى وازداد صراخ الناس وصياحهم .. واشتعلت النار فى جزء من الطائرة وقال بول يحدث نفسه :

– سأموت الآن .. وسيعثرون على المال حول وسطى .

وتوقفت الطائرة ورأى بول باب الطوارىء الكبير بجواره ولم يعرف كيف يفتحه ولكنه تشبث به ولم يلبث أن هب الهواء البارد ووقع من الطائرة على الأرض واندفع الناس خلفه فى جنون هاربين من الموت .

ألقى نفسه فوق الأرض سليما .. وكان هناك محرك مشتعل فى الناحية الاخرى من الطائرة ووثب الناس من فوقه وهم يتصارعون ويتقاتلون فى سبيل النجاة .. وصاح بول :

– روبرتا .

لم يرها بين الناجين فعاد الى الطائرة ورفع نفسه ولم يلبث أن وجد نفسه داخل الطائرة من جديد .

كانت هناك بعض الجثث فى الطائرة ونظرت مضيفة اليه بعينين

متسعتين مذعورتين وصاحت به أن يخرج .. لعلت روبرتا قد نجت هى الأخرى .. ولكنه لم يرها .. ربما استطاعت أن تخرج من باب آخر .

وسار إلى الجناح الذى كانت تجلس فيه .. كانت لا تزال هناك ولكنها كانت قد وقعت على أرض الطائرة تحت المقعد المخلوع ، وكانت لا تزال مربوطة إليه .. وانحنى فوقها يفحصها فرأى مذعورا انها ماتت .. ورأى مقدمة الطائرة مشتعلة وملتوية بصورة غريبة وأدرك أن انفجارا وقع فيها فأصاب روبرتا فى مقتل .

ودوى انفجار آخر فأسرع إلى الخارج وراح يجرى وهو يعرف أن الطائرة كلها قد تنفجر مابين لحظة واخرى وراح يجرى بكل ما أوتى من قوة فى جوف الظلام .

وأخيرا وقف وهو يترنح وراح ينظر حوله .. عرف أين وقعت الطائرة فى منطقة من المستنقعات بعيدة عن المناطق المأهولة وتبعد عن بيته بنحو ربع ميل .

ووقف مرتبكا مضطربا والبرد ينخر عظامه .. لقد سار كل شىء على ما يرام فماتت روبرتا ولن يلبث أن تكتشف السرقة انهارت الخطة كلها مع وقوع الطائرة ونظر الى حيث وقعت فرأى بعض الأنوار وسيارة اسعاف ونورا أحمر .. وقال يحدث نفسه :

– " سأعود الى البيت ولن يعرف أحد أننى كنت فى هذه الطائرة سأعود الى البيت " .

وبدأ يشق طريقه بين الأشجار نحو الطريق العام .. وكان المستنقع متجمدا كالصخر لحسن الحظ .. ولم يكن معطفه معه وراح يرتعش من

البرد، وآثر أن يبتعد عن السيارات التى كانت تنطلق فى الطريق العام . وأخذ طريقا جانبيا يؤدى الى بيته .

ووقف فى الفناء وراح ينظر حوله وهو يحدث نفسه أنه لم يكن يتوقع أن يرى هذا المكان مرة أخرى فى حياته .. وكانت رحلة قصيرة حقا ومضى الى الباب ودس يده ليخرج المفتاح حين حانت منه التفاتة الى نافذة غرفة المعيشة ، وكانت هناك فرجة فى الستار رأى شيئا استطار له لبه .

كانا فى الفراش .. مارى ومعها رجل .. وصدم المنظر إحساسه أكثر مما صدمه حادث الطائرة مارى ورجل .. أدرك على الفور أن علاقته بزوجته كانت سائرة الى الانهيار منذ وقت طويل .. منذ الأيام التى عكف فيها على سرقة النقود وعطلات نهاية الأسبوع التى يقضيها بعيدا عن البيت تمهيدا لتنفيذ خطة الفرار .

وعصف الغضب بكيانه .. لم يكن يحب مارى منذ وقت طويل .. ولكنها كانت زوجته ، ولم يكن لها الحق فى أن تخونه فى بيته بالذات .. لم يشعر بالغيرة ولكنه أحس بإهانة كبيرة لم يسبق له أن عرفها فى حياته .

ودار على عقبيه وأسرع الى الجاراج وفتح بابه بيد مرتعشة وهو يذكرأن هناك مسدسا فى درج سيارته وعثر على المسدس فأمسكه وأحس ببرودته فى يده وهو يعود الى البيت .

وانحنى أمام الباب العمومى ودس المفتاح فى صمت وأداره وفتح الباب ودخل وشهر المسدس فى وجه مارى عندما استدارت اليه .. وفتحت فمها مشدوهة وأصاب الرجل رعشة وبدأ بول يطلق النار وهو يتقدم منهما وأفرغ المسدس فى جسديهما حتى كفا عن الحركة ثم وقف ينظر إليهما

والمسدس لا يزال فى يده وقال يحدث نفسه :

– إننى فعلتها الآن .. فعلتها .

وكان الهدوء والسكون يخيمان على البيت .

وأحس بالبرد يسرى فى ذهنه وفى جسده واستدار فرأى أن الباب مازال مفتوحا فمضى إليه وأغلقه .. لن يستطيع الهرب الآن أبدا .. لن يستطيع أن يهرب بالنقود والفتاة لقضاء أسعد الأوقات فى البلاد الاستوائية .. لن يستمتع أبدا بركوب الطائرات النفاثة ولن يتنقل الى مختلف البلاد التى كان يتلهف للذهاب اليها فقد هوت طائرته به وسيموت الآن .. سيعدم لارتكابه جريمة القتل .

وتوقف فى مكانه .. كلا .. إن لديه الدليل على أنه كان بعيدا عن مكان الجريمة وقت وقوعها وماعليه إلا أن يخرج من هنا وان يعود الى الطائرة المحطمة وأن يكتشفوه هناك .. فى مقدوره أن يجد سببا لوجوده فى الطائرة يتعلل به أمام المصرف اذا كان لابد من ذلك .. ولكن المؤكد الآن أن أحدا لا يستطيع اتهامه بارتكاب جريمة القتل .

وأسرع الى الباب وفتحه وألقى نظرة الى الخارج .. لم يكن هناك أى شىء ولا أى أحد .. وأخرج منديلا من جيبه ومسح المسدس ثم ألقاه على الأرض وأسرع خارجا من البيت وسط العاصفة من جديد .

ولم يأخذ الطريق العام بل شق طريقه خلال المنطقة المأهولة بالسكان نحو المستنقع مسرعا .. ورأى عن كثب بعض العربات والأضواء حول الطائرة واناسا يحملون مشاعل ويصيحون ويفتشون الأماكن التى حول المستنقع .. وأخذ يرتعش وهو يتقدم نحو المشاعل .. ووقف قبل أن يصل

اليهم ووقع على الأرض وتركهم يصلون إليه والتفوا به وحولوا أضواء مشاعلهم نحوه وهم ينظرون الى ثيابه الممزقة وجسده الذى يرتجف .

وصاح شخص :

– ها هو واحد آخر .

وامتدت اليه بعض الأيدى تساعده .. وتركهم يسيرون به نحو الطريق العام ويضعون ملاءة حول كتفيه وفنجانا من القهوة الساخنة فى يده .. ولم يتظاهر بالذهول والاضطراب فقد كان يضطرب حقا ولا يستطيع أن يمسك بفنجان القهوة .

وبعد لحظات حملوه الى عربة إسعاف ومضوا به الى المطار .. وبدا يفكر وهم يمضون به .. كان لا يزال بمقدوره أن يهرب فان النقود ما تزال معه ، حول وسطه ولم يصب بشىء ويمكنه أن يستأنف رحلته .. لم يكن يهمه شىء فيما عدا الهرب .

وعندما بلغوا المطار فحصوه واستجوبوه وواسوه . وتركهم يفعلون لحظة ثم استفسر عن الرحلة القادمة فردوا عليه قائلين :

– ولكن لا يمكن أن تسافر الآن .

قال :

– بل لابد لى من ذلك .. انها حالة عاجلة .. يجب أن أستقل أول طائرة .

وتجادلوا معه كثيرا .. ولكن بعد أن وقع على وثيقة بأن لم يلحق به أى أذى أو أى سوء سمحوا له بأن يستقل الطائرة التالية التى ستقلع بعد ساعة .

ومضت الساعة بأسرع ما قدر، وقبل أن يدرك تماما كان يسير نحو الطائرة الثانية .. وكانت الريح باردة وتصفر على الرغم من أن الثلج كان قد انقطع عن السقوط .. وكانت السماء صافية .. وسار وهو ينظر الى الأرض مثبتا قبعته بيده على رأسه ، تماما كما فعل فى المرة السابقة .

وتوقف ورفع رأسه الى الطائرة .. كانت عملاقة بشعة وهى جاثمة فوق الأرض .. وسرت رعشة فى بدنه هزته من أعلى رأسه الى اخمص قدميه .

وعرف الحقيقة عندئذ والخوف يسرى فى بدنه .. لن يصعد الى أية طائرة نفاثة أبدا بعد ذلك .

لن يذهب الى أَجواء اخرى ولن يستمتع بحياة أخرى .. وحاول أن يجبر نفسه على التقدم الى الطائرة ولكنه لم يستطع أن يخطو خطوة واحدة نحو النجاة .

وكانت المضيفة واقفة أسفل السلم فأشارت إليه ثم أسرعت نحوه ولكنه دار على عقبيه .. وراح يجرى هاربا من الحرية الوحيدة التى أمامه الآن .. راح يجرى بكل ما فى قلبه من خوف .. يجرى مذعورا الى دفء المحطة وأمنها .. وحلقت الطائرة فى الجو وهو فى طريقه الى المحطة فوضع يديه فوق أذنيه حتى لا يسمع صوتها .

وتلقفوه عند مدخل المحطة بأيد رحيمة ورقيقة ومضوا به .

نزيل الفندق

كان يوما ضائعا بالنسبة لوولفسون ، فقد أرسله الضابط الى فندق جولدن جيت لبحث شكوى قدمت إليهم ولكن بعد تحقيق وجيز اتضح له أنه لا مبرر لها ، فقد أخطأ بعض النزلاء ودخلوا غرفة غير غرفتهم بسبب افراطهم فى الشراب .

وخرج من المصعد وألقى نظرة على النزلاء الذين يدخلون ، كان الوقت ظهرا ولكن البار الملحق بالفندق كان مزدحماً بالرواد ، وكانوا كلهم من الرجال الذين يعملون فى المكاتب المجاورة ويقضون فترة الظهر فى تناول الشراب .

حسنا أن له ان يعود الآن ،وفيما هو يجتاز القاعة المزدحمة مر برجل واقف امام مكتب الاستقبال ، وعلق وجه الرجل فى ذهنه لحظة ثم طرحه عنه ولكنه ما أن بلغ الباب العمومى حتى توقف مترددا ثم عاد ادراجه .

كان الرجل الواقف أمام مكتب الاستقبال فى أوائل الخمسينات ، قصير القامة ، تدل ملامحه على أنه قضى كل حياته أمام سبورة سوداء أو أمام آلة حاسبة ، كان يرتدى بدلة ضيقة رخيصة وقميصا باليا أزرق .

ووقف وولفسون أمام مكتب الاستقبال ونظر الي الرجل فى فضول وسمعه يقول :

– هل أجد غرفة فى الطابق الثاني عشر ؟.

أجاب الموظف

:– الغرفة رقم ٥ شاغرة ، وهى جميلة وفسيحة .

وأخرج من الحامل بطاقة القاها فوق المكتب وهو يقول :

– وتطل على شارع جرانت .

تمتم الرجل ببضع كلمات مبهمة وسجل اسمه على البطاقة ثم اتجه نحو المصعد ، ولم يكد يبتعد خطوتين حتى أدرك وولفسون السبب الذى حمله على الأهتمام به ، فأخرج محفظته من جيبه الخلفى واسرع حلف الرجل وربت بيده على كتفه وهو يريه الشارة التى تدل على أنه من رجال البوليس وقال :

– يؤسفنى أن ازعجك ياسيدى ، ولكن هل يمكن ان تذكر لى اسمك ؟.

رمش الرجل القصير وهو ينظر اليه بعينيه المكدودتين ، وقال فى صوت مبهم :

– ميلر .. تشارلس ميلر .

– هل لك أن تنتظر لحظة مكانك يا مستر ميلر ؟..

وعاد وولفسون الى موظف الاستقبال وأراه شارته ثم قال :

– هل استطيع أن أري البطاقة التى سجل عليها هذا السيد اسمه ؟.

أخرج الموظف البطاقة .. كان مكتوبا بها اسم تشارلس ميلر بشارع لومبارد رقم ١٣٣٨ بسان فرانسيسكو .

نقل وولفسون العنوان ثم أعاد البطاقة ، وعندما عاد الى ميللر كان الرجل القصير يحملق فى ساعة الحائط فى غموض وهو يدير مفتاح الغرفة بين أصابعه .

– هل تقيم هنا فى مدينة سان فرانسيسكو يا مسر ميلر ؟.

– نعم (وبدا صوته فى منتهى اليأس) .

– ولماذا تنزل بهذا الفندق ؟..

هز ميللر كتفيه وقال :

– لشئون تتعلق بالعمل ..

– أى نوع من العمل ؟..

رفع ميللر عينيه إلى الساعة مرة أخرى كما لو كان طفلا صغيرا ينتظر وجود نجدة بفروغ صبر ، وعاد وولفسون يقول :

– أي نوع من العمل يا مستر ميلر ؟..

يجب أن أجتمع ببعض القوم .. ومعظمهم من التجار .

نظر وولفسون الى السجادة وقال :

– وليس معك اى متاع .

– ذلك لاننى سأقضى ليلة واحدة ..

أخذ وولفسون يفحص الوجه الذى أمامه فى اهتمام .. هل يمكن أن

يكون قد أخطأ .. وهل يمكن أن يكون الأمر مجرد تشابه وأن يكون صورة طبق الأصل .

كانت هناك ندبة صغيرة ، فوق عين ميللر اليسرى يمكنه أن يتحقق منها ومن باقى الأوصاف باللاسلكى .

قال يخاطب الرجل :

– أظن أنى مضطر أن أطلب منك بعض الايضاحات ..

تردد الرجل تردداً يسيرا ثم راح يفتش فى جيوبه وأخرج محفظة قديمة من جيب داخلى ناوله اياها ولكن ولسفون قال :

– كلا ، ناولنى أنت منها بطاقة التأمين الاجتماعى او رخصة السيارة أو أى شئ .

بحث الرجل فى مجموعة صغيرة من البطاقات وناوله رخصة صادرة من ولاية كاليفورنيا باسم تشارلسى ميللر .

وبينما كان وولفسون ينظر إليها فى اهتمام بدأت جماعة من الفضوليين تتجمع حولهما فقال :

– يؤسفنى أن أزعجك يا مستر ميللر ولكننى أحب أن تأتى معى ، لن أشغل من وقتك أكثر من نصف ساعة .

نظر الرجل القصير الى المصعد فى أسف وقال :

– ولكننى ظننت أننى استطيع .. (وخفت صوته من جديد وسأل) .. هل الأمر هام ؟..

– إن معى سيارة فى الخارج ، وسينتهى الأمر بأسرع مما تظن ..

– حسنا ..

ونظر إلى المفتاح الذى فى يده وقال :

– وهذا .. ماذا يجب أن أصنع به ؟.

بدأ وولفسون يشعر بالاسف له وقال :

– إنك دونت اسمك ، سيحتجزون الغرفة لك .

وارشد الرجل إلى الباب واردف :

– ستعود فى الوقت اللازم لحضور الاجتماع .

وفى الخارج ، فى ضوء النهار بدا ميللر مشدوها وضائعا .. ودوت سرينة سيارة البوليس فتوترت اعصاب الرجل ، وأمسكه وولفسون من ذراعه وقاده حتى المكان الذى تنتظر به السيارة ، ومشى الرجل وهو يرمش بعينه فى ضوء الشمس وقد ازدادت حيرته وبدأ كالفأر الذى وقع فى المصيدة .

وعندما بلغا السيارة فتح وولفسون الباب وجلسا ، وبدأت السيارة تنطلق ونظر وولفسون إلى ميللر كما لو كان يقيمه ، ولكن الرجل كان مطرق الرأس وكان لا يزال يدير المفتاح بين أصابعه .

قال وولفسون وهو ينطلق نحو مركز البوليس :

– هناك شئ يحيرنى وهو أنك لم تسألنى ولو مرة اين أذهب بك ؟..

هز ميللر كتفيه فى تراخ ، وكانا يمران بميدان الاونيون وطارت حمامة أمام الزجاج الأمامى للسيارة مذعورة وعاد وولفسون يقول :

– لماذا لا يبدو عليك الاهتمام ؟.

– لأننى لن ألبث أن أعرف .

– نعم ، لن تلبث ان تعرف .. لن يستغرق الأمر أكثر من بضع دقائق .

ولكنه كان متأكدا تماما أم ميللر لن يعود الى فندقه بعد ذلك ..

وأوقف السيارة على مسافة قريبة من المركز وقاد الرجل القصير نحو الدرجات الأمامية لمبنى البوليس ولم يكن هناك احد في غرفة المناوبة ومجرد صحف قديمة ورائحة طلاء جديد ، وترك ميللر وحده فى غرفة الاستجواب وأنطلق فى الممر نحو مكتب سى باجانو .

كان باجانو يطل من النافذة وينظر الى السماء وقال :

– لم أشاهد أى نورس منذ أسبوع ولا أدرى لماذا اختفت لم يغلق وولفسون الباب خلفه وقال :

– إن لدى شيئا ياسى .

– وما هو ؟..

– أتيت برجل يدعى تشارلس ميللر ، ولكننى اعتقد انه اسم مستعار ..

نظر باجانو إلى السماء مرة ثانية وقال :

– ومن تظنه يكون ؟.

– فريدريك ليدنر .. مدرس سانتا بربارا الذى قتل هاتين المرأتين فى الأسبوع الماضى .

تحول باجانو عن النافذة على الفور وقال :

– هل أنت واثق ؟..

– إن الوصف مطابق ، وقد جاءتنا صورة باللاسلكى وقيل لنا إنه ربما يكون فى طريقه الى سان فرانسيسكو .

– وأين وجدته ؟.

– فى فندق جولدن جيت ، ولم يكن معه متاع .

أخذ باجانو سماعة التليفون وقال وهو يطلب الخط :

– سأتصل ببوليس لوس أنجلوس للحصول على مزيد من المعلومات .. أين هو ؟.

– فى قاعة الاستجواب .

خرج وولفسون ومضى إلى الغرفة المذكورة ، وكان ميللر جالسا على مقعد ينظر إلى الحائط بعينين نصف مغمضتين امام الضوء الساطع المتسلسل من النافذة وأسدل وولفسون الستار .

وجلس بجواره واشعل سيجارة ثم قال :

– أننى آسف أتريد سيجارة ؟.

– إننى لا أدخن .

– منذ متى تقيم فى سان فرانسيسكو يا مستر ميللر ؟..

دعك الرجل القصير عينيه وأجاب :

– منذ اسابيع قلائل .

– وأين كنت تقيم قبل ذلك ؟.

- فى نيويورك ، وقد انتدبتني شركتى للعمل هنا .

نهض وولفسون وعاد إلى النافذة وتطلع الى الخارج من خلال الستار ، لم يكن هناك أحد بالشارع ، ودقت ساعة كنيسة قريبة تعلن الوقت فنظر إلى ساعته متحققا ثم قال :

- وماهو العمل الذى تقوم به يا مستر ميللر .

- البيع بالجملة .

- هل أنت متزوج .

تردد الرجل بينما دقات الساعة تتابع كقطرات الماء وأخيرا قال :

- نعم إننى متزوج .

- هل معك صورة لزوجتك ؟.

- وهل هذا مهم .

عاد وولفسون إليه ، كان وجه الرجل فى الظل ولكنه رمش بعينيه مع ذلك وهو ينظر إلى ضابط البوليس الذى قال :

- أنه مهم يا مستر ميللر ، هل معك صورة لها .

أخرج الرجل المحفظة القديمة مرة أخرى ، وراح يفتش فيها واخيرا تناول منها صورة قدمها إلى وولفسون وعرضها للضوء ، كانت صورة قديمة لشقراء جميلة ، أصغر سنا بكثير من زوجها ، وكانت تبدو عابسة . وسأله :

- هل أنت متزوج منذ وقت طويل ؟.

- منذ بضعة أسابيع ..

فتح الباب فى هذه اللحظة ودخل باجانو وفى يده ملف فقال وولفسون :

- هذا هو الملازم باجانو زميلى يا مستر ميللر ، هل تمت المكالمة ياسى؟.

- كلا .. إن الخط معطل .

مضى وولفسون بالصورة إليه وقال :-

هذه زوجة مستر ميللر .

فحص باجانو الصورة وهو جامد الاسارير ، ثم فتح الملف وأمسك بصورتين وعرضهما بحيث يستطيع زميله وحده أن يراهما وقال :

- القتيلتان .

أخذ وولفسون الصورتين وعرضهما للضوء ، كانتا لامرأتين فى منتصف العمر لا تشبه أى منهما المرأة الشقراء .

تحول باجانو إلى الرجل وسأله فجأة :

- هل زوجتك بالبيت يا مستر ميللر ؟..

- نعم ..

أخذ وولفسون سماعة التليفون وقال :

- ما رقم تليفونك ؟.

تململ ميللر في مقعده على الفور وقال :

- كلا .. إنها ليست بالبيت .. أننى أخطأت .

التقت عينا وولفسون بعينى باجانو وقال الأول :

– أوه .. أين هى إذن ؟.

– لقد سافرت إلى نيفادا صباح اليوم .. لكى تزور بعض الاصدقاء .

– آه .. هل لديهم تليفون ؟..

– كلا ..

نهض ميللر واقفا فى ارتباك وقال باجانو :

– هل تري هذه السبورة التى بجوار الحائط ؟ أذهب إليها وخذ قطعة من الطباشير .

فعل ميللر ما أمر به ، وقال باجانو وهو ينظرإلى وولفسون مرة أخرى :

– هذا جميل ، والآن اكتب أى شئ .

بدا الرجل وكأنه موشك على البكاء وقال :

– ماذا يجب أن أكتب .

– أى شئ ..لا يهم ماذا ..

ظل ميللر جامدا لحظة ، ثم رفع يده وكتب (تشارلز ميللر) ، فى خط جميل مائل بعض الشئ ثم بدا يستدير ولكن باجانو صاح به :

– كلا ابق كما أنت ، أكتب اسمك مرة أخرى .

وبينما كان ميللر يكتب أخذ باجانو المحفظة من فوق المكتب وأخرج رخصة القيادة وقال وولفسون يحدث نفسه (هذا جميل .. جميل جداً) ، وراح يقارن من فوق كتف باجانو بين التوقيع الموجود على البطاقة وبين

الاسم المكتوب على السبورة ، وكانا متطابقين ..

قال باجانو :

– إنك تجيد استخدام الطباشير والكتابة على السبورة يا مستر ميللر مع أن أكثر الناس لا يجيدون ذلك ، هل أنت واثق أنك لست مدرسا ؟.

أجاب الرجل القصير :

– ذلك أن لى خبرة بالتدريس .. فقبل ان تنتدبنى شركتى للعمل بهذه المدينة كنت أقوم بالتدريس عن كيفية البيع بالجملة ..

– ألم تشتغل بالتدريس فى المدارس أبدا ؟.

– كلا .

– مشى وولفسون إلى السبورة وقال :

– هناك أسم آخر .. أريد منك أن تكتبه .. فريديك ليدنر هلا فعلت ذلك من أجلى .

ارتفعت يد ميللى إلى السبورة بدون تردد وكتب الاسم بنفس الثقة والرشاقة .

قال وولفسون :

– آه ..

وأشار إلى الملف ففتحه باجانو ، وأخذ وولفسون صورة أخرى وضعها فوق المكتب تحت المصباح وقال :

– يمكنك أن تعود مكانك يا مستر ميللر ، أجلس .

عاد الرجل القصير الى مكانه امام المكتب ، وهو يرمش بعينيه فى ارتباك ، وجلس فى إعياء ، وأشار وولفسون إلى المصباح قائلا :

– هل ترى مانعا من أن تضئ النور.. أريد أن أريك شيئا .

أدار ميللر المفتاح ولم يكد يفعل حتى أجفل وتشبث بذراعيه بالمقعد كان يحدق فى صورة له هو بالذات وقال :

– من أين جئت بهذه الصورة ؟..

قال وولفسون :

– من ملفاتنا :. ودنا هو وباجانو من المكتب وقال :

– إنها صورة رجل يدعى فريدريك ليدنز قتل امرأتين فى الأسبوع الماضى فى سانتا بربارا ..

قال ميللر محتجا :

– ولكن .. ولكن هذه صورتى أنا .

أخذ باجانو الصورة منه وقال :

– أخذها بوليس لوس انجلوس من ملفات المدرسة الخاصة التى كنت تقوم فيها بالتدريس .

هز ميللر رأسه وقال :

– هذا مستحيل ، إننى لم أذهب الى سانتا بربارا فى حياتى ، يمكن لأى شخص أن يقول لك ذلك .. أى شخص .

قال باجانو :

– حقا .. وزوجتك الجديدة .. هل يمكن أن تشهد بذلك ؟.

امتقع وجه ميللر وخفض رأسه ورفع يده إلى جبينه وقال :

– هناك غلطة .. أنكم خلطتم بينى وبين شخص آخر .

جلس باجانو فى المقعد الذى بجواره وقال :

– من أين جئت بهذه المحفظة ياليدنر .. ومن هو تشارلز ميللر .

– أنا تشارلس ميللر ..

وبدا الرجل القصير موشكا على البكاء ، واستطرد يقول :

– يمكنك أن تسأل اصدقائى ورؤسائى فى العمل .. فى استطاعتهم أن يقولوا لك .

انحنى باجانو فوقه أكثر وقال :

– أعتقد أنك كذاب .. أنك قتلت هاتين المرأتين وأقبلت هنا لكى تختبئ أنظر إلى .

– هذه غلطة .. ألا يمكنك أن تفهم ذلك ؟.

ارتفع صوت باجانو وقال فى اصرار :

– أظن أنه لابد من الاعتراف .. لابد أن تذكر لنا كل شئ عن هاتين المرأتين .

– لا أعرف عن أى شئ تتكلم .

تدخل وولفسون قائلا :

– هون عليك ياسى .. أننا لم نتحقق من الامر بعد .

– هذا الرجل هو فريدريك ليدنر .. وقد كذب علينا فيما يتعلق بزوجته وكتب على هذه السبورة بالاسلوب الذى يجيده المدرسون ، سأضعه فى الحبس .

فكر وولفسون فى الأمر مليا ومرت به لحظة ود فيها لو أنه لم ير ذلك الرجل ابدا ، ولو أنه تجاوزه وقال باجانو :

– ماذا نفعل .. هل نحبسه أم نطلق سراحه .. استقر على رأى ياصاحبى .

نظر وولفسون إلى الرجل القصير ، كان قد أمسك بصورة ليدنر للمرة الثانية وراح ينظر اليها فى غباء وعدم إدراك ..

– حسنا ، سوف نحبسه ، غير أننى مازلت غير واثق مثلك ، ولكن لا يمكن ان نجازف .

قال باجانو :

– صدقنى ، أن كل شئ مطابق ..

قال وولفسون وهو يلمس الرجل من كتفه فى رفق :

– هلم بنا يا مستر ميلر .. الخطوة الثانية .. رفع البصمات .

أومأ ميلر برأسه ونهض ومضى نحو الباب ..

انحنى باجانو فوق النافذة ، وهو يضرب فخذه بالملف فى غضب وقال :

– عندما تفرغ عد إلى ثانية سأحاول الاتصال ببوليس لوس انجلوس مرة أخرى ..

وبدأ يدير قرص التليفون عندما أغلق وولفسون الباب .

إلى مكتب البصمات لم يبال ميلر بما حدث له ، وضغطوا أصابعه فوق المحبرة ، وجلس وولفسون فى ركن يفكر وهو يدخن سيجارة ، كان هناك شئ غير صحيح .. فإن تشارلس ميلر وأيا كان اسمه كان رقيقا وادعا لا يكترث بما يحدث له .

وبعد دقيقة طرق الباب وأطل باجانو منه قائلا :

– وولفسون .. هل يمكن أن تأتى لحظة ؟..

تبعه وولفسون بعد أن داس على سيجارته على الارض :

– هل اتصلت ببوليس لوس انجلوس ؟.

أجابه باجانو وهو يشيح بوجهه عنه :

– نعم إنهم القوا القبض على فريدريك ليدنر فى الليلة الماضية .

– ماذا تقول ؟.

– عثروا عليه مختبئا عند صديق له ، ليس هناك أى خطأ .

حاول وولفسون أن يخفى ارتياحه وقال :

– هذا عجيب إن الرجل يشبهه تماما .. كما لو كانا توأمين .

تنهد باجانو ورفع يده قائلا :

– كنا أحمقين .. وقد حدث ذلك قبل اليوم ، وسيحدث بعد اليوم ..

هل لك أن تفسر الأمر لصاحبنا هذا .. إننى لا أجيد الاعتذار .. قل له إننا نأسف وأننا أخطأنا .

وأردف يقول فى صوت مرتفع :

– أنك تقوم بمهمة الدبلوماسى دائما .. عد به الى فندقه ، ويخيل لى أنه موشك على الانهيار ما بين لحظة وأخرى .

وكانت رحلة العودة إلى الفندق جولدن جيت صامتة .

وجلس ميللر فى المقعد الخلفى يفكر وقد انطوى على نفسه تماما ، وتقبل اعتذار وولفسون فى صمت وهو ينظر إلى الحبر الذى يلوث أصابعه .

قال وولفسون وهويحاول ان يلطف الجو :

– سأقدم له مشروبا فى الفندق على حسابى .. هز ميللر رأسه وقال :

– كلا أشكرك إنك لست مجبرا على أن تفعل هذا .

– حسنا لا تزعج نفسك بما حدث فإن أحدا لن يعرف به ، إننا لم نسجل اسمك فى دفتر الأحوال ، وبهذا لن يكون هناك أي تقرير .

ورافقه إلى بهو الفندق وأوصله حتى المصعد ثم صافحه مودعا ، وعندما أغلق باب المصعد خلفه تنهد وولفسون فى أرتياح وهو يقول لنفسه أنه سيفكر فى الأمر مرتين قبل أن يصطحب أى امرئ للاستجواب بعد ذلك .

كان على وشك مغادرة الفندق عندما سمع موظف الاستقبال يصيح باسمه ، كانت هناك مكالمة تليفونية له .

كان باجانو هو المتكلم وقد خاطبه قائلا :

– رأيت ان أتصل بك . إننى اتصلت ببيت ميللر فى لومبارد وقد ردت على زوجته .

قطب وولفسون حاجبيه وقال :

– حسبت انه قال انها فى نيفادا .

– إنه كذب فى هذه النقطة ، إنها راحلة الى نيفادا الليلة ولكن ليس لزيارة بعض الأصدقاء ، أنها ذاهبة إلى رينو .

– لكى تطلقه ؟..

– نعم لوأنك سمعتها وهى تتكلم فى التليفون إنها ذات دلال كبير ، وقالت إن النبأ أوشك أن يحطمه وأنها لا تكترث به أبدا ، يبدو أنها من أولئك الغوانى اللآتى لا يهتممن إلا بأنفسهن .

قال وولفسون :

– يا للرجل المسكين !.. وقد عقدنا نحن الأمور له .

– هذا صحيح ، حسنا ، ظننت أن النبأ قد يهمك ، ستكون هذه آخر مرة تسمع فيها عن تشارلس ميللر .

– حسنا باسى ، أشكرك ..

وأعاد السماعة مكانها وأجتاز قاعة الفندق فى طريقه الى باب الخروج حسنا .. كان الرجل صادقا إذن ، وهذا هو السبب فى عدم اكتراثه واهتمامه حتى قبل أن يطلب منه مرافقته .

وفى الخارج ، رأى الناس يجرون ويتجمعون \حول نقطة بالشارع ، وتوقفت السيارات فجأة وخرج القوم من محلاتهم يدفعهم الفضول ، وتملكه الفضول بدوره فمضى إلى حيث يتجمعون وألقى نظرة وهو واقف فوق الافرين ..

وما كاد يفعل حتى أدرك لماذا أراد الرجل القصير غرفة فى الطابق الثانى عشر ..

كان طريحا على الأرض جثة هامدة مشوهة وغارقة فى الدماء .

ريتا المخلصة

عندما رأيت ريتا لاول مرة لم أشعر نحوها بميل كبير ، بيد أنكم لا ريب تعرفون كيف يكون الإحساس الأول .

دخلت ريتا محلنا هى وزوجها وحموها ، كانت امرأة قوية الجسم طويلة القامة وجميلة ، حتى وهي تلبس بنطلونا أسمر وقميصا رجاليا وصدرية من الصوف كانت تبدو أنثى وفاتنة والمرأة عندما تلبس حذاءا جديدا يبرز جمال كاحليها ورشاقتها فإنها تبدو جميلة حقا ، ولم ألق اليها غير نظرة فضولية طبعا ولكن أخى الاصغر آل بقامته التى تبلغ ستة أقدام لم يستطع أن يحول عينيه عنها ، كانت فى الثامنة والعشرين من عمرها ، ولعلها تكبر زوجها بسنة ولكنها أقوي منه بالتأكيد ، كانت توحي من أول وهلة بأنها رجل من رجال الجبال يلبس ثياب الصيد ، ولكن كلما أمعنت النظر كلما لاحظت قسمات جسدها المكتزة وثنايا شفتيها الغليظتين وعينيها الباردتين الجريئتين والحرارة الشهوانية التى تنبعث من كيانها .. صفوة القول ما أن تمعن النظر إليها حتى تدرك أنها امرأة ذات شخصية جبارة .

وكنا قد رأينا الرجلين قبل ذلك فقد أقبلا الى فى الخريف الماضى ،

وأظن أن من الأوفق أن أتكلم كلمة عامة عن المحل الذى نستغله فإننا على الحدود الكندية ولا يفصل بيننا وبين كندا إلا غابة كبيرة كثيفة وأراض لا قيمة لها ليس هناك أنهار أو مراكز حراسة أو حتى أي جمرك والحق أنه ليس هناك أى داع إلى الحراسة او الجمرك فالغابة عبارة عن صخور وأراض لا يمكن ان يخطر لانسان عبورها ، وقد ذكر لنا أبى أنه أثناء تحريم الخمور خطر لبعض المهربين أن هذه الغابة هي المكان المثالى لتهريب الخمور على ظهورهم ..

وقد حاول ثلاثة منهم .. ولم يعد منهم غير واحد اقتنع بعد نجاحه بسخافة الفكرة التى طرأت لهم ، فإن هذه الغابة من المستحيل أجتيازها أثناء الشتاء تماما ، أما باقى السنة فهى مليئة بالصخور الغريبة والمستنقعات والاشجار المتشابكة والثعابين الضخمة والدببة والقطط الجبلية ، ليس فيها أى طريق حقا وإذا حدث وضل أحدهم فإنه هالك لا محالة ، وقد سمعت أن رجلين من الهنود الأصليين يقيمان فى مكان ما منها وأنهما يبيعان جلود صيدهما فى كندا ولكننى لم أرهما قط .

لم أضع قدمى فى الغابة منذ كنت صبيا ولا يختلف إليها أى انسان عاقل ولم يفكر فى أختراقها على الرغم من أن أسرتى تعمل فى منذ أكثر من مائة عام ويختلف إلى محلنا بعض المزارعين ، وندبر أمورنا بطريقة لا بأس بها ، ولم أكن أدري أن الأراضى التى لا قيمة لها سيكون لها أية أهمية ذات يوم ولكن ما أن انتهت الحرب حتى أقبل رجل ثرى وأبدى رغبته فى الصيد داخل الغابة وحاولنا أن نثنيه عن غرضه ولكنه قال أنه سبق أن أقتنص الاسود فى أفريقيا وفى أماكن أخرى ، وأنتهى بنا الأمر الى أن بعناه بعض الأسلحة وطلبنا على وجه السرعة بعض أحذية الصيد ، وقد

تكلف هذا كله ثمنا باهظا طبعا .

حسنا .. توغل الرجل فى الغابة وخرج منها بعد أسبوع ومعه جلد دب ، وأبدي سروره بأنه اصطاد فى هذه الناحية ، وكان رجلا ثرثارا ، ولا ريب أنه أكثر من الكلام عن الاماكن التى ذهبت إليها فقد أقبل بعض الصيادين وأضطررنا أن نبيعهم ما يريدون .

ولم يلبث ان توافد الصيادون بعد ذلك وانفقوا أموالا طائلة فى سبيل الحصول على جلد الدب او القط الجبلى ، بل أن بعضهم كانوا يأتون فى طائرة ويهبطون فى جوف الغابة عند بحيرات خفية غنية بالأسماك ..

وكان هذا سببا فى ثرائنا طبعا فقد رحنا نبيعهم الأسلحة والذخيرة وملابس الصيد الغالية ، وكانوا يقضون ليلتهم عندنا وعند عودتهم نعنى بسياراتهم .

وكما سبق لى القول لابد للمرء أن يكون على جانب من الثراء ، وكنا نربح من هذه العملية فى تلك الفترة أكثر مما نربحه بقية السنة .

وكان جيم هاريس ، حمو ريتا رجلا قصيرا ربعة القوام يخطو نحو الستين ، ولاريب أنه تزوج في سن كبيرة لأن ابنه الوحيد جيم كان فى الثانية والعشرين من عمره ، وقد أقبلا لأول مرة فى الخريف الماضى ولكنهما أقبلا للمرة الثانية ، وكانت ريتا زوجة جيم الشاب تصحبهما ، وقد قدمت لهم وجبة شهية وأووا الى فراشهم فى وقت مبكر .

وفى صباح اليوم التالى ، وكان يوم اثنين استقلوا سيارتنا الصغيرة وانطلقوا فى جوف الغابة ، والواقع ان هناك بداية طريق يمتد نحو خمسة عشر ميلا وعرة داخل الغابة ، ولكن بعد هذا الطريق لابد لك من السير على

الاقدام ، وقد أراد آل فى البداية أن نمهد طريقا فى جوف الغابة ولكن آل بعيد عن الذكاء فقد أوضحت له أننا اذا مهدنا الطريق وقمنا بأية تحسينات أخرى فلن يأتى أصحابنا الاثرياء بعد ذلك لان الذى يجذبهم الى هذه الأماكن هو وعورتها ومجاهلها .

وكان المتفق أن تبقى أسرة هاريس أسبوعاً ، ولم نفكر فيهم بعد ذلك لحظة واحدة فيما عدا " آل " ، الذى كان يحلم بريتا حتى بعد ظهر يوم الأربعاء عندما عادت السيارة الجيب مصدرة صوتا صاخبا ، وكانت ريتا هى التى تسوق فى حين كان زوجها طريحا فى المقعد الخلفى ، كانت تبدو كما لوأنها أصيبت بالجنون بشعرها الاسود الطويل المنكوش والمتهدل فوق كتفيها ، وكان وجهها شاحبا تعلوه الجروح وثيابها ممزقة وقميصها مصبوغا بالدم .

وكان جيم غائبا عن وعيه ، كانت رأسه ووجهه فى حالة يرثى لها وكذلك كتفه وذراعه الأيمن ، كان شاحبا شحوب الموتى ، وخرجت "ريتا " ، من السيارة وحملت زوجها بين ذراعيها كما لو كان طفلا وذهبت به الي فراشه فى حين أسرعت أنا لكى أتصل بطبيب .

ولابد من نصف ساعة تقريبا لكى يأتى الطبيب الينا ، ذلك اذا حالفنا الحظ ووجدناه فى بيته ، والدكتور آش يقيم فى برستون ، واذا اتفق وكان غائبا أو كان لديه ما يشغله فلابد ان نحاول الاتصال بالدكتور دانيس بليتل بات ، ولكن هذا الاخير لن يأتى ما لم يكن الامر بالغ الضرورة لأن ليتل بات تبعد عنا بنحو مائة وخمسين ميلا .

وعلى الرغم من أن ريتا كانت على حافة الاغماء فانها ظلت بجوار فراش

زوجها بينما كنا ننتظر مجئ الدكتور آش ، وقد تناولت طعامها وهى بجوار فراش زوجها ولم تشأ ان تغادره لحظة ، ومع ذلك فقد بقيت أنا وزوجتى وآل معها طوال الوقت ، واذا لم يكن هناك ما يفعله آل فانه كان يقضى وقته فى النظر الى ريتا كما لو كان طفلا ينظر الى شئ يعبده .

وعندما استطاعت ان تتمالك نفسها شيئا ما وأن تتكلم قالت لنا :

– أنهم نصبوا خيمتهم فى ممر صخرى يعرف باسم شيل جوت ، وأن هاريس الاب سمع أثناء الليل أصوات حيوانات ، فخرج ليستطلع الامر وجلست ريتا فى الخارج بجوار النار تنتظر عودته ، وعندما عاد تعثرت قدماه فانطلقت بندقيته وأصابته الطلقة فى بطنه ويجب ان يكون الإنسان مجنونا لكى يطلق رصاصة وحوله كل هذه الصخور ، ولكنه تعثر وانطلقت الرصاصة صدفة وفجأة .

وكان جيم الابن راقدا فى فراشه ، وتسببت الطلقة فى انهيار بعض الصخور فوقعت فوق الخيمة وحطمتها ، وشل جوت تبعد بنحو عشرين ميلا عن نهاية الطريق ، حيث كانت السيارة الجيب ، ووجدت ريتا نفسها بين رجلين جريحين جراحا خطيرة ، وكان عليها ان تتخذ قرارا سريعا وخطيرا لانه لم يكن بمقدورها إلا إنقاذ واحد منهما فقط ولهذا حملت جيم الابن فوق كتفيها وسارت به عشرين ميلا ، تمشى تارة وترتجف أخرى وراحت تصعد وتهبط طوال الليل حتى بلغت السيارة الجيب مع طلوع النهار ، ومن محاسن الصدف ان الحظ حالفها فلم تضل طريقها ..

وكان القرار ان الذى ستتركه سوف يموت حتما ، ان لم يكن بسبب الحيوانات المفترسة فبسبب جراحه وما كان فى استطاعة جيم الاب النجاة

وقد أصيب بجرح نافذ فى بطنه ثم ان جيم الابن كان زوجها .. وكانت تجربة فظيعة لها وهى تمشى طوال الليل فى جوف الغابة وعلى كتفيها رجل يحتضر ، وان دل هذا على شئ فانما يدل على انها امرأة فائقة الرقة والطيبة والشكيمة فى الوقت نفسه ..

وأسرع آل جاك فارو وهو مزارع هندى يعرف مسالك الغابة خيرا من أى شخص اخر الى شل جوت (وسيتزوج من آل جاك فارو بمجرد ان تبلغ السادسة عشرة من عمرها ، والواقع ان اليس فارو فتاة جميلة ، ولكن حتى لو لم تكن كذلك فسيتزوجها آل لانها الفتاة الوحيدة فى المنطقة) ، وساعدت أناو زوجتى ريتا بقدر الإمكان وحاولنا ان نقنعها بأن تأخذ قسطا من الراحة ، وكنت أفكر طوال الوقت فى أننى أخطأت فى حكمى عليها ، أعنى عندما رأيتها أول مرة وظننت أنها دمية قاسية الملامح .

وحتى بعد أن أقبل الدكتور آش في ساعة العشاء رفضت ريتا أن تغادر زوجها وبقيت جالسة فى مكانها فى نوع من الضباب منهوكة القوى زائغة البصر لانها لم تذق النوم ، وظلت تحدق فى زوجها لا تفارقه بعينيه .

واسترد وعيه مرة وقال له أنه يحبها كل الحب قبل أن يعطيه الدكتور حقنة منومة ، وتوسل الدكتور الى ريتا ان تصيب قليلا من النوم وان تستريح ، ورفضت ان تتناول أى عقار ولكن عندما جئناها بمرتبة فى الغرفة تمددت فوقها ونامت بضع ساعات وهى لاتزال محتفظة بملابسها الممزقة المصبوغة بالدم ، وعلى الرغم من أن الدكتور آش معروف بالوقاحة والغلظة فقد تأثر .

وكانت هذه أول مرة ارى فيها زوجتى تبكى ، واخذت الانجيل وراحت

تقرأ وتصلى من أجل" ريتا .. ومن أجل زوجها ..

وبذل الدكتور آش كل ما فى استطاعته ولكن كان واضحا ان جيم الابن لا محالة هالك ، واتصلنا ببرستون تليفونيا لارسال عربة أسعاف على الرغم من أن الدكتور كان يؤمن بأن جيم لن يستطيع احتمال الرحلة ، وعندما سمعت ريتا حديثنا ، وكنا نظن أنها نائمة ، انهارت وراحت تصرخ بطريقة هيستيرية وتتوسل الى الدكتور لكى ينقذ زوجها ، ولكن جيم الابن كان فى حالة ميئوس منها ، وكان قد فقد الكثير من دمه ومات فى صباح اليوم التالى ، ولم تبك ريتا عندئذ ولكن بدا عليها أنها متأثرة بالصدمة ، وبقيت جامدة بجوار فراش زوجها وهى ترد بالكاد على أسئلة الدكتور لتحرير شهادة والوفاة .

وفى منتصف النهار عاد آل وجاك فارو وقالا انهما وجدا المكان الذى انطلقت فيه الرصاصة وأصابت جين الاب وانهما رأيا كومة من الاحجار والصخور وحطام الخيمة ، ولكنهما لم يجدا اثرا للجثة ، وليس هناك من يعرف مجاهل الغابة مثلهما ، وقد فتشا الوادى من أوله الى آخره ومن رأيهما ان دبا ربما عثر على الجثة فنقلها الى جحره ، وعندما عرفت ريتا النبأ فيما يتعلق بجيم الاب انهارت تماما لانها تركته هناك ، وأعتقدت انها أحست بالذنب ، وقد أعطاها الدكتور عندئذ حقنة مهدئة وارقدتها زوجتى فى فراشها ، ولم يكن فى مقدورها ان تحمل الرجلين فى وقت واحد ..

وعندما نهضت ريتا فى النهاية كانت قد استجمت بعض الشئ واستبدلت ثوبها بثوب آخر ابرز مفاتنها ودهشت زوجتى وهى ترى ثوب ريتا الفاخر فى حين راح آل ينظر إليها كما لو كان يريد ان يأكلها ، وهم بأن يطلب منها أن

تتزوجه لولا أن زوجتى اقنعته بأن ينتظر لأن الوقت غير مناسب ، وكان يتعين علينا أن نعرف ماذا نفعل بجثة جيم الابن ، وقد اقترح الدكتور آش ان ندفنه فى مدافن القرية ، وكنا قد ألغينا طلب عربة الأسعاف لان الرحلة ستكون طويلة حتى بلدة برستون ، ورات ريتا ان هذه الفكرة طيبة لأن جيم كان يحب ان يدفن بجوارجثة ابيه ، وكان فارو يقوم بالوعظ واسرع آل فصنع صندوقا عاديا وهكذا وارينا جيم هاريس الثرى فى مقبرة القرية.

وكان الطبيب يتلهف على العودة الي المدينة برستون فى نفس الليلة ، وقررت ريتا أن ترحل معه فجأة ، وقالت لنا إنها ستبعث من يأخذ سيارة جيم الاب فيما بعد، ولكنها أصرت على صنع رخامتين لوضعهما فوق القبر تشهد بأن جيم الابن مات يوم ١٩ وان جيم الاب مات يوم ١٦ ,. وقضيت ما يقرب من ساعتين فى أصدار التعليمات اللازمة لصانع الرخام فى ليتل باف...

وقبل ان ترحل ريتا اعطت عنوانها فى المدينة لآل ووعدت بأن تعطى خمسمائة دولار مكافأة لمن يأتى بجثة جيم الاب لكى يدفن بجوار ابنه .

وعلى الرغم من أننى كنت أعرف أن ريتا أصبحت تمقت محلنا فقد اغرورقت عيناى عند رحيلها وانتحبت زوجتى فى صوت مرتفع فى حين تملك آل الانفعال والاضطراب ، وعانقت زوجتى ريتا وأعطتها هذه الأخيرة ثوبا أنيقا ,و قال آل أنه مستعد ان يعيد إليها السيارة فى أى وقت تطلب منه ذلك دون أى مقابل ..

واكتفيت أنا بأن شددت على يدها ورحت أتساءل عن مدى تأثير هذه الفاجعة علينا ، وكان الدكتوور قد دار بعربته لكى ينطلق بها فى طريقه إلى

برستون عندما اقبلت عربة بوليس مسرعة هبط منها رجلان ألقيا القبض على ريتا بتهمة القتل ..

ولم أستطع لا أنا ولا الطبيب ان نصدق ذلك .

أعنى بعد كل ماعانته ريتا كان هذا النبأ يبدو بعيدا عن التصديق ، أما آل فقد اضطررت أنا وزوجتى إلى العناية به لان ذلك الغبى اوشك ان يعتدى على رجلى البوليس ، ولكننا لم نلبث أن عرفنا كل شئ فيما بعد اثناء المحاكمة .

فيبدو أن جيم الاب كان بخيلا جدا على الرغم من ثرائه ، ولم يكن يتخلى عن ثروته إلا بشق النفس ولم يكن الابن يملك شيئا ، وكانت ريتا قد عانت من الفقر الكثير قبل ان تتزوج جيم الابن ، وادركت ان هذا الاخير لن يلبث ان يرث اباه بمجرد موته ، ورأت فى الصيد فرصتها فبينما كانوا يعسكرون فى الوادى قال لها جيم الاب انه خارج قليلا ، كان جيم الابن غارقا فى النوم ، وتبعت ريتا الرجل وأطلقت عليه رصاصة أصابته فى بطنه ، وفى نيتها أن تقول أن الأمر وقع قضاء وقدرا ، ولكنها لم يكن من ابناء المنطقة ولم تتوقع تأثير الطلقة النارية عندما عادت لكى توقظ جيم الابن وتقول له ان اباه وقع له حادث وجدته يرزح تحت كومة من الاحجار ..

وأخذت ريتا تفكر بسرعة ، كانت قد درست قوانين الولاية قبيل ذلك وكانت تعرف ان زوجها اذا مات قبل ابيه فان ريتا لن تحصل على فلس واحد من اموال الاب ، وأنها إذا استطاعت ان تحتفظ بجيم الابن حيا وان تثبت ذلك فانه يرث كل شئ عندئذ وان الارث سوف يؤول إليها إن آجلا او عاجلا ، ولهذا السبب بذلت الجهد الكبير وحملت جيم الابن خارج الغابة

وجاءت به إلينا لكى تستشهد بنا عند موته ، أما الاب فقد ظنت أنه سيموت بعد بضع ساعات ..

وماكان الأب ليعيش لو لم يره احد الرجلين الهنديين اللذين يقيمان فى المنطقة ، فقد كان موجودا على بعد نحو الف وخمسمائة متر وقد أسرع الى مصدر الطلقة النارية لاستطلع الامر عندما سمعها ، وعثر على المصاب وحمله إلى الوادى حيث كان احد الرجال يصطاد فى البحيرة على ظهر طائرته المائية ، وحمل الرجل العجوز فى طائرته واسرع به الي مستشفى كندى ، ولم يكتف الاب بأن يذكر ما حدث له وانما وقف على قدميه فى الوقت المناسب لكى يدلى بشهادته ضد " ريتا " ، عند محاكمتها بعد ذلك بأسبوعين .

ولا يزال آل يقول ان من السوء إرسال امرأة جميلة مثلها الى الكرسى الكهربائى ، وحتى زوجتى حكمت بأن ريتا زوجة طيبة لا لشئ إلا لأنها حملت زوجها خارج الغابة وحاولت ابقاءه على قيد الحياة مهما كانت دوافعها ، اما انا فلا ادرى .. فانى على الرغم من اعجابى بسرعة بديهتها وشجاعتها إلا أننى أظن اننى لا استلطفها منذ البداية ..

لا تتزوج ساحرة

كان توم بارتين زير نساء ، وكان هذا فيه امرا طبع عليه منذ ولد .. كان رجلا موهوبا ، والموهبة يمكن أن تقود صاحبها الى الثراء والجاه ، أو إلى عديد من المشاكل والمتاعب ، ولكن موهبة توم بالذات قادته الى المشاكل والمتاعب .

كان طويل القامة عريض الكتفين قوى الساعدين واليدين ، من ذلك النوع الذى يروق للنساء أن يضمهن الى صدره ، وكان الى جانب ذلك وسيما تبدو عليه الرجولة ، قسماته رقيقة مستقيمة ، وشعره أسود مجعد يتهدل بعضه فوق عينه اليسرى بصورة تجعله يبدو كما لو كان صبيا ..

كانت النساء تختلف الى متجره باستمرار ، ولا عجب فى ذلك فإنهن يقمن بشراء كل ما يلزمهن ، وكان متجر بارتين يبيع كل شئ تقريبا ، وقد تساءل البعض ما الذى حمل توم على أن يصبح تاجرا ، وقد كان هناك سببان لذلك ، أولهما أن عمه خلف له المتجر ، وكان على توم أن يعمل لكى يكسب قوت يومه ، والسبب الثانى كان بسيطا كذلك تقريبا ، فلم يكن هناك من عمل آخر يتيح له أن يتعامل مع الجنس اللطيف ستة أيام فى الأسبوع

وقد أحسن توم التصرف ، فقد راحت السيدات يختلفن إلى متجره كلما فكرن فى شراء شئ ما ، وكن يبقين فيه أطول مدة ممكنة ، أحيانا كان يوجد ستة منهن فى المتجر فى وقت واحد ، تنتظر كل منهن دورها ، ويلقين شتى الاسئلة عن مختلف البضائع ويثرثرن ويضحكن ، وكل منهن تحاول الاستئثار باهتمام صاحب المحل ، بل كانت تأتى اوقات تخف فيها حركة البيع ، ويتناهى الى الأسماع أثناءها ضحكات رقيقة صادرة من مؤخرة المتجر .

ولكن كان هناك صدع واحد فى حياة توم بارتين الغرامية ، ذلك أنه كانت له زوجة ، وكانت تدعى بيج ، وكانت تملك بيتاً ولم تكن دميمة ، وحين وقفت به أمام القسيس قال البعض أن وجهه خال من أى تعبير ، وأن من المحتمل أنه مخمور او لعله مسحور ، ولا ريب أن بيج كانت تملك عليه سلطانا كبيرا لكى ترغمه على الزواج بها ، ومهما يكن من أمر فهذا ما قيل وقتئذ .

كانت بيج حمراء الشعر متمالكة لاعصابها ، وقد تركت الحرية لتوم وكانت تعرف كل شئ عن مغازلاته فى المتجر ، ولكنها كانت تعرف أيضا أن مثل هذا الأمر ضرورى لنجاح التجارة ، ولهذا كان يسرها ويسعدها أنها تملكه شرعا ..

ولكن كان ذلك حتى ظهرت أودرى مانس ، ولم تظهر فجأة وانما شبت وكبرت ، فقد كانت تقيم فى المدينة طوال الوقت ، وتختلف الى المتجر من وقت لآخر لشراء أشياء صغيرة وتتبادل كلمات خجولة مع توم .. كانت فتاة خرقاء ولم يكن هناك أى ريب فى أنها كلفت به منذ سنوات ، ثم جاء يوم

وكما يفعل ساحر تحركت عصا السحر فوقها فأصبحت امرأة ذات شعر أسود فاحم وعينين فاتنتين براقتين وبشرة رقيقة ملساء وتقاطيع جميلة حلوة بحيث أصبحت أجمل وجه رآه توم فى حياته .

وهفت أودرى إلى توم وأرادته لنفسها، ليس أثناء النهار لمجرد الغزل والمداعبة ، وليس لمجرد الحصول على قبله فى مؤخرة المتجر ، وإنما أرادته لكى تحتفظ به ليلا ونهارا وتعد طريقته فى الاهتمام بها وإغفال غيرها متى أقبلت وحملت كل من بالمدينة على الاعتقاد بأن المتاعب وشيكة الوقوع .

تنبأ بذلك كل شخص فيما عدا توم نفسه ، كان لا يدرى من ذلك شيئا لأنه كان يحب النساء ولا يفهمهن ، ولم يفهم مثلا السبب فى وجود فأر فى محله فجأة ..

ولا نعنى فئرانا كثيرة أو غزوة فيرانية وإنما نعنى فأرا واحدا ، ولم يكن فأرا وحيدا ولم يكن فأرا ضالا ، وانما فأر بدا أنه يعرف ما يريد بالذات ، ودهش توم فى بادئ الامر ، ثم لم يلبث ان انزعج ، فلم تكن بالمحل مأكولات ، ثم انه لم يكن يبيع أى صنف من أصناف البقالة ، ومع ذلك فقد أقبل الفأر وبكل جرأة وفى وضح النهار ، وهذا أسلوب لا يقدم عليه أى فأر عادى .. حتى توم نفسه رأى أن هذا تصرف عجيب من فأر بالذات..

أقبل من جحر خفى ، وجلس فى وسط المحل وحدق فى توم ، وحدق توم فيه بدوره وقد أذهلته المفاجأة ، فلم يفكر فى الإمساك بمكنسة أو بسلاح ما أو أن يفعل أى شئ ، وقف الرجل والفأر كل منهما يتفرس فى الآخر وأحس توم بإحساس غريب يسرى فى عموده الفقرى كان إحساسا بعيدا

عن الخوف وبعيدا عن الذعر ..

كان هناك شئ غريب بخصوص هذا الفأر .. لم يكن الأمر منه مجرد جرأة وإنما كان أكثر من ذلك .

ولعل ذلك كان بسبب لونه .. فهو لم يكن سنجابيا ولا أسود ولا أبيض كذلك.. بل كان لون فريد فى نوعه ، فقد كان أحمر جعله يتذكر .. ولكن كانت هذه فكرة سخيفة .

وكان ممكنا أن يتوقف الأمر عند هذا الحد ، بأن يحدق كل منهما فى الآخر الى الابد تقريبا ، ولكن رنين جرس الباب الأمامى جعل الفأر يبادر بالفرار ، وكانت مسز هارنجتون هى التى أقبلت ، وقد أمضت مدة طويلة دون حياء أو خجل لكى تشترى زوجا من الأحذية وطوال ذلك الوقت كان توم مرتاعا خوفا من أن يظهر الفأر فتندفع مسز هارنجتون خارجة من المحل وهى تصرخ ، فإنه إذا كان هناك شئ يخشاه الجنس الناعم ولا يطيق منظره فهو الفئران .. فأر واحد يمكن أن يتسبب فى إفلاس محله .

تسبب الفأر فى ارتياع توم وخوفه ، خاصة وأن أكثر عملائه من الجنس اللطيف ، فإذا شاع أن بمحله فأرا فلن يكون لكل سحر توم أى تأثير على النساء ، ولن يحملهن علي دخول متجره بعد ذلك ابدا ، ولم تكن التجارة بالنسبة لتوم تجارة ، وإنما كانت لذة ومتعة .

بيد أن مسز هارنجتون انصرفت فى أمن وسلام ، وتطلع توم حوله ، ولكنه لم ير للفأر أثرا فى أى مكان ، وتملكه الانفعال ، ولم يلبث أن أحس بالأمل وهو يقول لنفسه إن الفأر ينصرف عندما لا يجد فى المحل ما يأكله .

وعند الظهيرة حين كان أغلب أهالى المدينة يتناولون غداءهم تسللت أودرى مانس ، إلى المحل وكان توم موليا ظهره للباب فلم يسمعها وهى تدخل ، ولم يسمعها وهى تجتاز الأرضية الخشبية فى حذر وتقف خلفه ، وتشب على أطراف أصابعها وتعضه فى أذنه اليمنى مداعبة .

بدأها قائلا :

– أودري ، لا يجب أن تفعلى هذا فى واجهة المحل فقد يرانا الناس .

وفى تلك اللحظة وأمام أودرى الحلوة الرقيقة نسى الفأر .

قالت :

– ليس هناك من يرانا .

وقبلته على الرغم من ذلك .

وكانت قبلة طويلة متباطئة ، وعندما انفصلت شفتاها عن شفتيه ونظرت إليه كانت عيناها تتألقان وقالت :

– أوه .. إننى احبك كثيرا يا توم .. إنك وأنت تضمنى بين ذراعيك القويتين تجعل الحياة تنساب منى .. آه لك وأنت تجرى بيديك على ظهرى وآه لك وأنت تقبلنى .. وتقبلنى ..لا يمكن لأية فتاة أن تقاومك أبدا !.

وفجأة تغيرت سحنتها فجحظت عيناها والتوى فمها وصاحت :

– فأر!.

نظر توم من فوق كتفيه ، فرأى الفأر فوق أحد الرفوف يحدق فيه بعينيه السمراوين ، وقد انفصلت أسنانه بعضها عن بعض فى تكشيرة كبيرة .

وأمسك توم بثقالة الورق الزجاجية التى فوق المكتب ورماه بها ، وكان

دقيقا فى تصويبه فأصابت الثقالة الفأر فى جنبه فندت عنه صيحة تدل على الذعر والألم ، وبينما كان ينظر إليه هو وأودرى وقد استولى عليهما الذهول جرى الفأر بطول الرف وهو يجر رجله اليمنى الأمامية واختفى فى مكان خلف بعض أثواب القماش .

وود توم لو أن يأتى بسلم ويبحث عنه ويقتله بيديه العاريتين ولكن أودرى كانت لا تزال ترتعد وتبكى ، فحملها بيديه إلى مؤخرة المحل ، و أغلق الباب الفاصل ، خلفهما تاركا الواجهة للفأر .

وراحت أودرى ترتجف بين ذراعيه القويتين ، ولو كان لدى توم ذرة من الشك فى كيف يكون رد الفعل عند النساء أمام الفئران فإن هذه الذرة من الشك قد تبددت الآن ، فقد غاض اللون عن وجه أودرى الجميل ، وراحت عيناها تدوران فى كل مكان كما تفعل المرأة المجنونة ، وقالت هامسة فى ذعر :

– من أين لك هذا الفأر ؟.

أجاب :

– لا أدرى ، لم يكن بالمحل فئران قبل اليوم .

– أرجوك أن تتخلص منه .

– سوف أفعل .. سوف أفعل .

– إنه شئ فظيع .. إننى خائفة .

– حسنا .. لا داعى للخوف حقا .

وراح يغطى وجهها بالقبلات وأردف :

– إن الفئران لا تهاجم الناس .

وما أن نطق بهذا القول حتى ندم عليه على الفور .

فماذا تفعل الفئران إذا لم تخف من الناس ، ثم إن هذا الفأر بالذات لم يبد عليه الخوف .

قال توم :

– اطرحى هذا الفأر عن ذهنك .. سوف أتخلص منه .

ولكنها لم تستطع أن تطرحه عن ذهنها ، ولم تكن القبلات ممتعة فى موخرة المحل فى ذلك اليوم .

قالت أودرى بعد أن خفضت عينيها شيئا ما وتأملت الموقف قليلا :

– إنه ليس فأرا عاديا .

وكانت قد أصبحت أشد هدوءاً ولكن عينيها السمراوين كان يبدو فيهما الخوف .

– ماذا تعنين ؟.

– اعنى أنه فأر مسحور ..

لم يكن هناك أى شك فى أنها لا تزال خائفة ، وأراد أن يواسيها بالطريقة الوحيدة التى يعرفها ولكنها لم تدعه يلمسها ، وحاول أن يسرى عنها وأن يثير اهتمامها بحلية أو وشاح أو عقد او أى شئ ولكنه لم يفلح ..

وعندما تسللت أخيرا من الباب الخلفى سره أن تنصرف وعاد إلى الواجهة ويحث عن الفأر فى حذر فنقل كل شئ فوق الرفوف وفحص

الاركان المظلمة ولكنه لم يجد شيئا .

وفى تلك الليلة عاد توم الى بيته وهو يأمل أن يكون الفأر قد تألم من جرحه وغادر المكان الى الأبد ، وفى طريقة الى البيت عرج على الحانة التى اعتاد ان يختلف إليها ، واحتسى كأسين من الجعة مع بعض أصدقائه .

وعندما بلغ البيت أخيرا بحث عن ميج ليقبلها كعادته ، ولكن ما أن وقعت عيناه عليها حتى تملكته أكبر دهشة فى حياته الزاخرة بالأحداث ، وصاح يقول :

– هل جرحت يدك ؟.

ذلك أن يدها كانت مربوطة بضمادة بيضاء .. يدها اليمنى .

– ماذا حدث ؟.

وأسرع إليها وحاول أن يفحص إصابتها ولكنها أقصته عنها وهى تقول مترددة :

– أوه .. إنه ليس شيئا خطيرا .

ولكن يبدو أنها أدركت أنه لابد لها من تقديم تفسير ما فقالت :

– كنت أبحث عن شئ فى دولاب الفاكهة فوقع برطمان زجاجى جرح يدى .

برطمان زجاجى .. ؟ ثقالة زجاجية ..؟.

– متى حدث هذا ..

– كنت أبحث عن شئ لكى أتناول الغداء ..

فى الظهر اذن .. فى الوقت الذى اعتادت أودرى ان تزوره فيه ، كان هذا أمرا غير معقول لا يمكن أن يصدقه رجل مثل توم بارتين ، ولم يصدق أن الفأر مسحور ، ولكن ها هو الدليل على أكثر من ذلك .. على أن ميج تستطيع ان تكون فى مكانين فى وقت واحد .. فى جسد فأر وفى جسدها هى بالذات .

إنه إذن قد تزوج ساحرة ..

وأسرع الى الخارج لكى يغسل يديه ، وتناول طعامه وهو يحدق فى طبقه ويتساءل عما اذا كانت ميج تعرف فيم يفكر .. إن لديه فى محله فأرا له شعر أحمر فى لون شعر زوجته ، وقد بدا عليه الغضب وهو يراه يقبل أودرى مانس ، ولكن كانت ميج هى الغاضبة حقا .. وكل ما يقع للفأر يقع لميج هى الأخرى .

ومنذ تلك اللحظة تسلسلت أفكار توم نحو فكرة معينة ، فهو لم يكن يريد فئرانا فى محله ، وهذا أمر مؤكد ، سواء كانت فئرانا عادية أو مسحورة لها شعر أحمر ، فهما أمران كل منهما أسوأ من الآخر ، ويجب أن يتخلص منهما .

وبدا ذلك فى اليوم التالى ، أصبح يسعى الآن وراء مهمة خاصة ، وعندما عاد الى المحل لم يجد الفأر ولم يظهر بعد ذلك ، ولكن توم لم يشأ أن يترك أية فرصة ..

كان أول ما يتعين عليه عمله هو أن يضع طعاما مسموما ، فإن الفأر يجب أن يأكل حتى ولو كان مسحورا ، ثم ان لديه سلاحين .. بندقية ومسدس ..

وقد تزود بأدوات أخرى من بينها مكنسة .. وكانت آخر خطة رأى أن يلجأ إليها هى أن يستعير قطة مسز مكفرسون الكبيرة .

ولكن هذه الخطة الاخيرة فشلت فشلا ذريعا ، فما أن جاء بالقطة الى المحل ، وهى قطة كبيرة ضخمة حتى قوست ظهرها وتأهبت للانقضاض نحو الجناح الذى تقع به أدوات المطبخ ، ولكنها ما كادت تتقدم بضع خطوات حتى توقفت وقد وقف شعرها ، وترددت لحظة ، ثم بدا عليها الذعر وأطلقت صيحة كبيرة واندفعت هاربة من المحل لا تلوى على شئ..

عرف توم بارتين الحقيقة عندئذ ، وادرك أن أية قطة لن تستطيع الإمساك بفأرة ، وقال فى صوت مرتفع .

– ولكن يجب أن أفعل شيئا .

وبذل كل ما استطاع ، فوضع الطعام المسموم ، إلا أنه بقى كما هو لم يمسه الفأر ، ووقف الساعات الطويلة مترقبا ظهور الفأر وفى يده المكنسة ولكن الفأر لم يعطه أية فرصة ، ومع ذلك فقد كان يعرف معرفة وثيقة أن الفأر المنتقم ما زال مختبئا فى المحل .

وبقيت أودرى بعيدا عن المتجر أسبوعا كاملا ، وأحس توم بالغضب والوحدة ، ولكنه لم يحاول أن يسعى وراءها فى بيتها هى بالذات لأنه لم يشأ إثارة فضيحة ، إذ إن فى ذلك إفلاس محله إفلاساً تاما كوجود الفأر فى متجره ، ولهذا تجمل بالصبر ..

ووجدت أودرى أخيرا ما يكفى من الشجاعة لكى تعود إلى المحل يوم الاثنين التالى ، فقد طرقت الباب الخلفى فى خجل ، وكان توم يترقب سماع طرقة المحبوبة فأسرع إليها وأدخلها بعد أن تاكد أنه أغلق الباب الامامى .

واندفع كل من العاشقين فى احضان الآخر ، وهمست أودرى تقول :

– أواه يا توم .. إننى افتقدتك كثيرا ..

أجابها وهو يمطر وجهها بالقبلات التى تهفو إليها :

– وأنا أيضا .

وقضيا معا فترة طويلة وبقى جرس الباب الأمامى صامتا ، ولم يأت أحد من العملاء ليقطع خلوتهما وسألته أخيرا :

– هل تخلصت منه ؟

– ممن ؟ (وكان يعرف ماذا تعنى طبعا) .

– من الفأر ؟.

– حسنا .. الحق أنى لا أدرى (وكان كاذبا) ، وأدركت أنه لم يتخلص منه فصاحت وقد راحت ترتجف من جديد :

– أواه يا توم يجب أن تتخلص منه .. إنك تفهم لماذا ؟ اليس كذلك ؟..

وإذ هز رأسه معاندا عادت تقول :

– إنه يريد أن يعضنى .

– أودرى !..

– ويريد أن يعض وجهى على الخصوص .

هز توم رأسه مرة أخرى ، وهو لا يريد أن يصدق مثل هذا الامر المروع وقال :

– لماذا يريد ذلك الفأر الخبيث أن يعض ذلك الوجه المليح .

– الا تعرف لماذا .. ذلك لأنه يريد أن يشوه وجهى ، وأن يمزق لحمى شر ممزق بأسنانه الحادة حتى لا تراني بعد ذلك يا توم .. إن زوجتك سحرت هذا الفأر ، وأرسلته هنا لكى يراقبنا ، ولكى يحميك ويهاجمنى .

أدرك توم الأمر عندئذ .. كان هذا التعليل يبدو معقولا فإن ميج تعرف حبه للنساء الجميلات وللنساء فحسب ، وأن ميج لهكذا حقا ، فانها لتود لو أن يشوه وجه أودرى .

اما الأمر الآخر بخصوص الفأر ، وهو أن ميج لم تسحر الفأر ، وانما هى التى سحرت نفسها فأرا فلم يذكره لأودرى ، فلم يكن هناك داع لافزاعها وأخافتها أكثر من ذلك ، وقالت تستحثه :

– ألم تقتله ؟..

– حاولت ذلك .. بذلت كل ما فى وسعى .. دسست السم وجئت بقط وانتظرت وبيدى مكنسة ولكن لعله غادر المحل .

هزت أودرى رأسها يائسة وقالت :

– كلا .. إنه لم يغادره ، إنه مازال هنا ، وهو الآن ينظر إلينا من مخبئة إننى لا أريد أن يشوه وجهى ، لا أريد أن يعضنى .. لن يستطيع أن يرى أحدنا الآخر بعد اليوم يا توم .

وصرخت كما فعلت من قبل وتقلصت ملامحها لفرط الرعب وهى تشير بإصابعها ، وتحول توم فى الوقت المناسب لكى يرى لمحة من الفأر الأحمر الصغير وهو يجرى ليختبئ خلف برميل .

اندفع توم يريد أن يمسكه بيديه العاريتين ، وألقى البراميل والصناديق

بعيدا ولكن الفأر كان قد اختفى ، فعاد وهو يكاد يجن من الغيظ وقال :

– أودري .. ولكن الباب الخلفى كان مفتوحا وقد اختفت أودرى .

بقي توم وحده يواجه مشكلته ، كان الفأرلا يزال موجودا ، وقد استقر منه العزم على البقاء ، وطالما هو موجود بالمتجر فلن تأتى أودرى ابدا .

ولاول مرة بدأ يفكر حقا ، ولم يكن معروفا بالذكاء الحاد ولكن الحزن واليأس أجبراه على أن يفكر فى وضوح وجلاء ، ولم يلبث أن اهتدى إلى حل يخرجه من ورطته ..

أصبح توم بارتين رجلا آخر .. رجلا يتحرك إلى العمل بعد أن اهتدى الى الحل ، لم يكن بالمحل زبائن فى ذلك الوقت ، وحتى لو كان به بعض منهم لأخرجهم بطريقة ما وأغلق الباب خلف أودرى ، ثم أخذ كيسا من الخيش وقطعة حبل وخرج من الباب الأمامى وتوقف لحظة ونظر إلى الخلف .

كان الفأر لا يزال موجودا خلف أكوام البراميل والصناديق وأثواب القماش ، يتحرك فى صمت ولعله كان يزمع العودة إلى البيت ، او لعله لا يزال جالسا يراقبه ، وهو يتساءل اين يذهب فى هذا الوقت من النهار وماذا ينوى أن يفعل .

وابتسم وقال محدثا نفسه :

– سوف ترى أيها الفأر الاحمر العجوز ، ابق مكانك لحظة وسوف ترى .

وعلق على الباب الزجاجى اللافتة الصغيرة أن المتجر مغلق ، ثم خرج وأوصد الباب خلفه وسلك الطريق العام حتى خرج من المدينة والكيس فوق

كتفه ، وانعطف الى اليمين واجتاز الحقول وبلغ الغابة أخيرا .

أصبح الآن صائدا ، ومشى ببطء وعيناه تبحثان فى نشاط وفى غير ضجر فى كل ناحية ، وهبطت أشعة الشمس الأخيرة فوق الأغصان ، ولكن توم كان متذرعاً بالصبر ، فقد كان يبحث عن شئ معين ، وراح يبحث عنه بلا هواده .

وتوقف فجأة وهو يبتسم ، وأخذ يمشى فى حذر أكثر ثم اندفع فجأة وقاومته فريسته وحاولت التخلص من أساورها ، ولكن توم كان الرابح ، فأغلق عليها الكيس وربطه مسرعا بقطعة الحبل قبل ان تهرب منه .

وأخذ طريق العودة بعد ذلك ، وكان طويلا ولم يره أحد عندما بلغ المتجر وكان الظلام قد جن ففتح الباب وتسلل إلى الداخل ، ولم يكن بحاجة الى النور واكتفى بأن فك عقدة الحبل ، وأدارالكيس وأفرغ مابه على الأرض ثم بادر بالفرار إلى الخارج وأغلق الباب خلفه .

ووقف يبتسم فى ارتياح ورضاء تامين ، وأخذ يصغى عند الباب لحظة ولكنه لم يسمع صوتا من الداخل ولم يقلقه الصمت ، وعاد الى البيت .. إلى ميج مرحا مسرورا ..

ولم يجدها بالبيت ، لم تكن فى أى مكان ، كان المطبخ شاغرا من صاحبته تماما .

وزيادة فى التأكد راح يبحث عنها فى الغرف الاخرى وبحث عنها فى الفناء ، وناداها بإسمها فى صوت خافت رقيق حتى لا يسمعه الجيران ولكنها لم ترد عليه .. ذهبت ميج .. أختفت كما لو أن ..

ولم يملك نفسه عندئذ فصاح يقول فى زهو وانتصار :

– مرحى ! .. وراح يرقص .. ويدور حول نفسه ، وخرج من المنزل وعاد الى متجره .

وعند الباب الأمامى وقع منه المفتاح أكثر من مرة لفرط اضطرابه وانفعاله ، وأخيرا تمكن من فتح الباب وأدار مفتاح النور على الفور ، ورمش بعينيه ومشى فى حذر فى أرجاء المحل حتى وقع على الشئ الذى كان يبحث عنه .

كان طوله نحو سبعة اقدام على الأقل وضخما كساعد توم المفتول ، وكان أسود اللون يبرق فى الضوء الباهت .. كانت حية كبيرة ضخمة راحت تنظر إليه فى كسل وتراخ وهى تدخل لسانها المجعد الاحمر وتخرجه متحدية .

وكانت هيئتها قد تغيرت قليلا ، ففى وسط جسدها الطويل كان هناك انتفاخ .. ولكنه لم يكن كبيرا .. وإنما بحجم الفأر .

تحدث الناس فى المدينة فقالوا إن ميج بارتين قد ضاقت بمغازلات زوجها ففارقته ذات ليلة ، ولم يعرف أحد ما حدث بالذات فيما عدا توم ، إنه لم يكن يصدق ذلك لولا أنه عاش التجربة بنفسه ..

وتصرف توم بعد ذلك بحيث أضاع نفسه ، فسرعان مانسى أحزانه وأشجانه ، وراح يغازل أودرى مانس علنا .

كان هناك بعض العقبات القانونية ، ولكن رجال القانون ذللوها له ، خاصة وأنه لم يعلن عن موت ميج بارتين لأنه لم يكن هناك ما يثبت ذلك ولكنهم منحوا توم الطلاق ، وقد عولج الأمر بطريقة فاضحة بما فيها الكفاية ولكن توم كان شابا وسيما وكان يروق للنساء ، ولهذا استمر يزاول نشاطه

فى المتجر ، ثم تزوج ذات يوم بأودرى مانس .

ولكن كان من المستحيل ان يتغير توم ، ويندر أن يتغير أمثاله ، فقد بقيت أودرى فى البيت وقد أسعدها أنها أصبحت زوجته ، ولكن كانت هناك نساء أخريات يختلقن إلى المتجر كل يوم ، ثم حدث أن أقبلت واحدة بالذات ذات يوم ..

كانت تدعى إيلين هاردى ، كانت فتاة شقراء خجولة إلى حد بعيد ، وقد وقعت فى حبه كغيرها من الفتيات الاخريات .

وأقبلت ظهر ذات يوم والمحل شاغر من العملاء وقالت :

– مستر بارتين !..

– أهلا بك يا إيلين ..

– مستر بارتين ، منذ وقت طويل وأنا أتوق إلى عقد اللؤلؤ المعروض فى واجهة المتجر ، وأتساءل هل أستطيع ان أجربه وأن أرى كيف أبدو به .

– تستطيعين طبعا أن تجربيه يا إيلين تعالى .. دعينى أضعه حول عنقك .. إن لك اجمل وأرق وانصع عنق رأيته فى حياتى يا إيلين .

وفيما هو ينحنى لكى يطبع على عنقها قبلة صاحت مذعورة وقد جحظت عيناه فزعا ورعبا وهى تنظر الى مكان بين صندوقين من القبعات خرجت منه حية سوداء ضخمة لامعة .

– إيلين !..

ولكن الفتاة قد ولت هاربة ، ولم يتبعها توم .

ولكنه بدلا من ذلك نظر الى الحية وإلى عينيها الصغيرتين وجسدها المتموج البراق وكان كل ما نطق به هو أودرى !..

ثم خرج من المحل ولم يعد إليه بعد ذلك أبدا .

الحلم

أرتكب هارى فينستر جريمة قتل ، وكانت جريمة بسيطة سهلة لم ينكشف أمرها ، فقد ماتت زوجته بيريل ووسدت الثرى وأعتقد الجميع أنها ماتت بالقضاء والقدر .. ولم يشتبه البوليس فيه على الأطلاق ، ولم يلمه أحد ، بل على العكس راح أصدقاؤه القلائل يرثون له ويواسونه فى مصابه .. قضاء وقدر .. وهاهو الآن بمفرده .. جريمة بسيطة سهلة .. ولهذا السبب بالذات نجحت ولكن الشئ الوحيد المزعج هو أن راح يرى أحلاماً فى منامه .

بدأ الحلم الأول بالجريمة نفسها .. وكان الأمر من الوضوح والدقة بحيث خيل له أنه يرتكبها للمرة الثانية .. ومع ذلك فقد كانت مرة واحدة كافية .

– هارفى .. يجب أن تشترى لى غسالة كهربائية جديدة بأية حال .

كان طلبها نوعاً من النواح كدأبها دائماً .. وترك الجريدة تتهادى فوق ركبتيه ورفع عينيه نحو زوجته .. كانت واقفة تلوى يديها كعادتها .. شاحبة الوجه حزينة السمات وخصلات شعرها الأشيب تتهدل فوق جبينها ، ومع أنها كانت قد بلغت الأربعين لتوها فقد بدت كما لو كانت تجاوزتها بكثير سألها فى غير رفق :

- وماذا جرى لغسالتنا ؟

- أنظر إليها ياهارفى .. إننى تكهربت اليوم مرة أخرى .. سوف يصعقنى التيار ذات يوم لامحالة .

وغادر مقعده على مضض وهبط إلى القبو .. بدت الغسالة فى الظلام ضخمة وعالية ، وكانت قديمة حقاً ، بل كانت بها أماكن تقشر فيها طلاؤها .

لم يكن هناك ريب فى أن بيريل لم تتولها بالعناية التامة .. وجلس القرفصاء لكى يفحصها وماكاد يفعل حتى رأى الخلل على الفور ، فقد أستهلك السلك فى الموضع الذى يمر بأسفل الغسالة فى طريقه إلى المحرك .. كان الغطاء العازل قد جف وانقطع ، وهذا كل شئ .

ماذا يفعل ؟ .. هل يغير السلك ؟ .. كلا كل ماهناك أنه بحاجة إلى قطعة من الشريط العازل .

ومضى إلى دولاب الأدوات وبحث فيه عن شريط عازل ولكنه لم يلبث أن تذكر أنه أراد أن يشترى من تاجر الخردوات لفافة صغيرة منه ولكن التاجر ذكر له أن ثمنها ٧٠ سنتاً فرفض شراءها وتساءل الآن هل تساوى حياة بيريل ٧٠ سنتاً لكى لا يصعقها التيار؟

وجاءه الرد على هذا السؤال عندئذ .

لم تكن إلا سبباً للانفاق لاداعى له .. ولو أنه أراد أن يطلقها فلابد له من أن يربط لها نفقة شهرية ، وقد وجد الأمرين من نواحها وشكاواها .. أصلح لى هذا .. أشترى هذا .. إن هذا قد أصبح قديماً لايصلح .. وهو الآن يريد الصمت .

وكانت استعداداته للجريمة بسيطة وسهلة .

كانت الغسالة غير موصلة بالتيار الكهربائى ، وقد أستطاع أن يعالج السلك فى أمان فلواه فى الموضع المستهلك مراراً وتكراراً وراح يحكه بأصبعه فى صبر وأناة حتى بدأ السلك النحاسى عارياً تماماً ثم ثبت السلك نفسه تحت الغسالة بحيث يلمس معدن الغسالة بالذات ثم أوصل التيار الكهربائى .. وبهذا فرغ من استعداداته .. وصب الماء على أرض الغرفة بعد ذلك بهذا أصبحت الأرض هى الأخرى على أتم الأستعداد .

كان الشبشب مستهلكاً تقريباً ، وفى هدوء وعناية كبيرة راح يحك النعل الجلدى المستهلك بأصبعه .. وظل يحكه إلى أن أحدث به ثقباً فى حجم قطعة نقود من ذات الخمسة سنتات .

ولم يبق عليه بعد ذلك إلا أن يحمل زوجته على الهبوط لكى تجرب الغسالة وأبدت بعض الصعوبات كما تفعل فى العادة دائماً .. ولكنه هتف بها :

- أظن أننى أصلحتها وأريد أن تجربيها .

- لم يكن فى نيتى أن أغسل اليوم .

- حسناً .. أريد أن تجربيها على أية حال .. إذا لم تدر فسأفكر عندئذ فى شراء غسالة جديدة .

وأثارها هذا الوعد على الرغم من غموضه فأذعنت وهبطت .. ولاحظ عندئذ أن ساقيها عاريتان .. وبحركة أوتوماتيكية لبست الشبشب وذهنها مشغول بالغسالة .. ويبدو أنها لم تلحظ أن قدمها كانت على اتصال مباشر بأرضية الغرفة .

وسألته :

- كيف حدث أن أبتلت الأرض هكذا .

فأجابها :

– ذلك إننى قمت ببعض التجارب .

كان يعرف أن خطته قد لا تنجح بالتأكيد فإن الآلات الكهربائية غريبة ومن المحتمل ألا تقتلها الغسالة وأن تصيبها بجرح بسيط ومن المحتمل كذلك ألا تصيبها بأى شئ على الأطلاق .. ولكنه أحس بأنه محظوظ على كل حال وأن شيئاً ماسوف يحدث .

وراقبها وهى تقترب من الغسالة فى حذر كما لو كانت تشك فى شئ أو كما لو كانت خائفة .. كانت تضع قدميها فى الموضع المبتل من الأرض .. ومدت يديها لكى تلمس الغسالة كالطفل عندما يفحص هدية جديدة .. وأنتظر فى قلق وبدأ له الوقت طويلاً كالأبد .

ورأى عندئذ يديها تشبثت بحافة الغسالة ولاتستطيع التخلص منها .. واختلج جسدها وسرت به قشعريرة .. ماهذا الصوت الذى سمعه ؟ هل سمع صوت سريان التيار الكهربائى حقاً ؟ أم تراه سمع صوت بيريل ؟ هل سمع صرخة أو أنيناً ؟ أو لعلها لم تصرخ .. هل صدر الصوت منه هو تعبيراً عن غبطته وابتهاجه ، أم ..

وظل يتساءل هكذا حتى أوقفه صوت آخر أكثر حدة وأشد مضاء .. صوت رنين يدوى فى أذنيه .. ومد يده لكى يبعد عنه الصوت ويوقفه .. وأوقفه أخيراً فقد عثرت يده على المنبة الكهربائى فوق الطاولة بجوار الفراش ، وبأصبع مضطربة ضغط على الزر وأسكت الرنين .

وفى هذه اللحظة بالذات كان قد صحا تماماً .. وظلت عيناه مفتوحتين وهو يهتز ويرتعش وجسمه يتفصد بالعرق .. وكان قد سحب المنبة حتى

آخر الحبل الكهربائى بحيث وقع على ركبتيه .. وأعاده فوق الطاولة وهو لا يزال يرتجف .. وجفف وجهه بكم بيجامته .

ولكن مر وقت طويل قبل أن يسترد جأشه تماماً .. وأشفق أن يصاب بزكام فأعاد الأغطية فوقه وبقى تحتها حتى كف جسده عن الاضطراب .. وتذكر عندئذ أنه تصرف هكذا تماماً عندما رأى بيريل تموت فقد استولت عليه الرعشة وراح يرتجف كما فعلت هى تماماً .

لم يكن هذا غير حلم ؟ أليس كذلك ، ولكن كيف حدث أن حلماً يكاد يكون مطابقاً للواقع يؤثر فيه أكثر من الجريمة نفسها ؟ .. مهما يكن فقد انتهى الحلم وهو الآن سليم وفى أمان فى دنيا الصحو .. وابتسم .

وانشغل هارفى طوال اليوم فى عمله ولم يفكر فى شئ آخر .. وفى المساء راح يشهد التليفزيون وقد بدأ له الآن أفضل بعد أن أصبح وحده لا يتشاجر مع بيريل على البرنامج الذى يريد كل منهما رؤيته ، وأخيراً أوى إلى فراشه .

ولم يخطر له أنه سيرى الحلم من جديد .

ولكنه رأى الحلم نفسه مرة أخرى .

– هارفى ، يجب أن تشترى لى غسالة كهربائية جديدة بأية حال .. حتى اللحظة التى تلوى فيها جسد بيريل عند سريان التيار فيه وصرختها .. أو صرخته هو .

وبعد ذلك ؟ .. نعم .. إنه صعد واستدعى الطبيب بصوت مفعم بالحزن والهول كما استدعى رجال البوليس وطلب عربة الاسعاف .

وأقبل ضابطان من رجال البوليس بثيابهما الرسمية وقد أبديا نحوه رقة كبيرة شأن الرجال الذين رأوا فى حياتهم الكثير .. وقال له أحدهما أن زوجته ماتت .

وأهتم الضابطان بكل شئ وبقى هارفى بجوار الباب وهو بادى الأنهيار ، ورآهم يحملون الجثة إلى محفة ويغطونها وينقلونها .. ورد على بعض الأسئلة بصورة آلية وهو مرهق تماماً .

وطول الوقت الذى أنقضى بين الموت والجنازة كان الرجل الوحيد الذى لم يظهر وداً أو رفقاً فى معاملته ضابط بوليس بثياب مدنية يدعى جودنى ، وهو رجل له وجه خاد وحاجبان كثيفان تحتهما عينان سوداوان ثاقبتان .

أوعز جودنى أن فينستر كان لابد يعرف أن الغسالة ليست فى حالة جيدة ورد عليه هارفى فقال له لو أن بيريل حدثته بذلك لأسرع باصلاحها .. ونطق جودنى باتهامه أخيراً فقال :

– لعلك تعلم يامستر فينستر أننى أعتبر ماحدث أهمالاً جنائياً من ناحيتك .

فهل ينهار فينستر ؟ كلا بل قال فى لهجة عادية :

– ألا تظن أننى فكرت فى ذلك أنا نفسى ؟ ألا تعتقد أننى ألوم نفسى على ذلك .. إن هذه الغسالة قديمة جداً .

– أتفقنا يامستر فينستر .. اتفقنا .. إننى لاأحاول أن أجعل منها قضية

بدت ملامح جودنى جافة جداً .. حادة كسلاح ماض ولمعت عيناه ببريق يومض بالحقد وأردف :

– وإن كنت أود أن أجعل منها قضية فى الواقع .

– ماالذى يرن ؟ أهو جرس التليفون ؟ أو باب البيت ؟ .. حاول هارفى أن ينهض من مقعده وأن يفعل أى شئ بدلا من البقاء تحت هذه النظرة التى تنطق بالأتهام وبسط يديه لكى يتشبث بشئ يعتمد عليه .

ومن جديد وجد نفسه يناضل مع المنبه الكهربائى ويشد السلك إلى حد أنه أوشك أن ينتزعه من الحائط .. ولكنه الآن وقد عرف أنه صحا تماماً عرف أنه لابد له من أن يضغط على الزر لكى يوقف هذا الرنين المتتابع .

وانتفض جسده كله وتفصد بالعرق وراح يبحث عن مكان يلجأ إليه .. وغرق فى أغطيته كالحيوان فى وكره ، واضطر إلى قضاء وقت طويل فى هذا الظلام الدافئ لكى يتغلب على اضطرابه وعرقه .

إهمال جنائى ..؟ ماهذا بالذات ؟ .. لعلها التهمة التى يوجهونها إلى السائق الذى يتسبب فى حادث قتل أو إلى طبيب أهمل فى أجراء عملية جراحية .. ولكن كيف يوجهونها إليه ، هو هارفى فينستر ، لاحتفاظه بغسالة قديمة .. وضحك .

ولكنه أقدم على غلطة فى ذلك اليوم ، وكان لابد له من وقت طويل لكى يهتدى إليها .

وفى المساء راح يشهد التليفزيون .. بسحنة كئيبة ، وظل ينظر إليه حتى انتهى الأرسال .. وبقى لحظة طويلة وهو ينظر إلى لاشئ .. واستسلم أخيراً وغلبه التعب .. ومشى وهو يتعثر حتى فراشه وترك عيناه تنطبقان وهو يرجو أن لا يحلم .

***

- هارفى يجب أن تشترى لى غسالة كهربائية جديدة بأية حال زوجتك ماتت ياماستر فينستر .. أهمال جنائى .. لاأحاول أن أجعل منها قضية وإن كنت أود ذلك فى الواقع .

بعضهم يطرق الباب .. لقد حدث هذا من قبل .. أهو حلم ؟

لم يعرف من الذى يطرق الباب .. سبق السيف العذل ولا يستطيع الهرب الآن فإن البيت محاصر .

كيف حالك ياماستر فينستر ؟ .. أجلس ياماستر فينستر .

كان جودنى يبتسم عندما فتح له الباب .. ودخل خلفه رجلان آخران يرتديان الثياب الرسمية واختفيا داخل البيت لسبب لايدريه .. وجلس هارفى على حافة مقعده وهو بادى الخوف .. وجلس جودنى فى مقعد هادئ مريح وأشعل غليونه فى بطء ثم قال :

- إننى تذكرت شيئاً ياماستر فينستر .. شيئاً يتعلق بموت زوجتك .. وأعرف أنه شئ حقيقى لأننى تحققت منه من أناس كانوا حاضرين وقتئذ .. وقد أزعجنى ذلك فى البداية ولكننى لم أفهم معناه إلا الآن .. وهذا أمر غريب .. غريب جداً .

- وماهو .

- عندما وجدنا زوجتك كانت أرضية الغرفة مبتلة تماماً .. ألا تجد ذلك غريباً ، خاصة وأنه لم تكن هناك أية ثياب مبتلة ، كما أن حوض الغسالة لم يكن مبتلاً هو الآخر .. شئ واحد كان مبتلاً وهو الأرضية .

- لماذا لم يفكر فى ذلك الأمر ؟

- هل يمكنك أن تفسر ذلك ياماستر فينستر ؟

حاول أن يتكلم ولكن خانه النطق .. وماذا عساه كان يمكن أن يقول لو أنه أستطاع أن ينطق ؟

وأقبل أحد الضابطين من الغرفة فى هذه اللحظة وفى يده شبشب بيريل وأعطاه لجودنى وقال هذا الأخير :

- أذكر الآن أننى فحصت جثة زوجتك وقد رأيت فى أسفل قدمها الأيسر أثر حرق بحجم قطعة نقود من فئة الخمسة سنتات .. نعم ، هذا هو الشبشب الذى كانت تلبسه .

وأدار جودنى الشبشب ونظر إلى النعلين ، كان الثقب موجوداً فى أحدى فردتيه بحجم قطعة النقود المذكور ، وقال :

- إنه ثقب غريب .. يبدو كان بدا قد حكته محاولة توسيعه .. إن هذا الثقب أحدثته يد ياماستر فينستر .. هذا واضح .

نطق فينستر ببضع كلمات .. بضع كلمات لاصوت لها ولاجدوى منها .

وأعاد جودنى الشبشب للضابط وقال :

- أحتفظ به كدليل أتهام رقم ١ .

وعندئذ دخل الضابط الثانى ، وكان عائداً من القبو وقال :

- إننى فحصت الغسالة جيداً ياجو .

- حسناً ، وماذا وجدت ؟

- بصمات أصابع فينستر فى كل مكان منها .

أخذ جودنى نفساً من غليونه فى نشوة وغبطة فى حين قال الرجل :

– ووجدت بصمات أصابعه فوق السلك المقطوع كذلك .

– حقاً ؟ .. حقاً ؟.

– وقد عولج هذا السلك بطريقة غريبة جداً .

قال جودنى أظن أن هذا يكفى تماماً .. لتكن الغسالة دليل الاتهام رقم ٢.. ماقولك الآن يامستر فينستر ؟ .. هل أنت مستعد للأعتراف ؟

– كلا .

وبدا كأن صدى صوته يرن فى نافوخه .. هل سمعه شخص آخر ؟

نهض هارفى مسرعاً من مقعده وحاول الهرب .. ولكن أحاطت به أياد قوية سمرته فى مكانه .. وفتح الباب العمومى ودخل منه بعض رجال البوليس وأحاطوا السوار بالمعصم .

وراح يناضل ويحاول الأفلات منهم وأخذ يتلمس ويتحسس وأمسكه أخيراً وتشبث به فى فراشه كما لو كان يتشبث بشئ حى .. ورأى عندئذ فى أرتياح كبير أنه صحا من نومه .. كان مستيقظاً والمنبة يرن .. وبحركه خرقاء وضع يده على الزر وضغط عليه .

ولكنه لم يتخل عن المنبه مع ذلك .. كان هذا الصندوق الصغير منقذه ، والسلك الموصول بالحائط كان شريط الأمان بالنسبة له .. وأخذ يربت بأصابعه على المنبة كما لو كان طفلاً صغيراً .. وبقى هكذا منتظراً أن يتلاشى الخوف المروع شيئاً ما وأن تجد دنيا الواقع كل حقيقتها .

وما أفظع الخوف الذى يسببه له هذا الحلم ؟ .

على خلاف الأحلام السابقة لم يكتف باحياء الأحداث الماضية ولكنه استبق الأحداث الآن ، وابتدع أموراً لم تقع على الأطلاق ، فإن جودنى لم يربط بعد بين الأرض المبتلة والثياب الجافة ولكنه قد يفكر فيها فى المستقبل .. ومن المحتمل كذلك أن يأتى لفحص الشبشب والغسالة ، ولكنه سيهتم بذلك الآن .

ووثب من الفراش مرة واحدة وأعاد المنبه مكانه وارتدى ثيابه مسرعاً ثم هبط إلى القبو .. نعم كان الشبشب موجوداً .

ولم يدرك مدى حظه إلا فى هذه اللحظة بالذات فإن رجال البوليس لم يأخذوا الشبشب مع الجثة .. ولا ريب أنه وقع من بيريل وأسرع فوضعه فى جيبه .

ولم يكن من السهل معالجة الغسالة ، وقد تعب كثيراً حتى تمكن من وضعها أخيراً فى الصندوق الخلفى للسيارة لأنه لم يكن قوياً .. وانطبق غطاء الصندوق بما فيه الكفاية حتى لايكشف مابه وربط قبضته بمصد العربة ثم أنطلق بعيداً عن بيته .

ولم يكن يعرف غير مكان واحد ممكن وهو المقلب القديم الذى يقع فى آخر المدينة ، وكان عبارة عن هوة مملوءة بالماء يقال أن عمقها نحو تسعة أو عشرة أمتار .. ومضى إليها ، وكان المكان مقفراً فلم يره أحد وهو يخرج الغسالة من العربة ويلقى بها فى الهوة .. وأحدث .. سقوطها دوامة كبيرة ولم تلبث أن غرقت .. وطوح بالشبشب وراءها .

وفى صباح اليوم التالى وصل إلى البنك متأخراً عن موعده ولكن أحداً لم يسأله عن السبب .. وأشتغل فى مرح وجد بحيث أنجز عمله قبل أن ينصرف

وكان شديد المرح لأنه أحس بأنه أصبح فى أمان طوال اليوم .

***

– هارى .. يجب أن تشترى لى غسالة كهربائية جديدة بأية حال .

نظرت بيريل إليه بعينين تنطقان بالاتهام ، ولم يكن صوتها باكياً شاكياً وإنما كان حاداً يقطر عداء .

صاح يقول :

– أننى برئ .

ولكن القاضى ذا الشعر الأبيض ، ولم يكن فى الواقع غير المفتش جودنى مرتدياً ثياباً سوداء ، اكتفى بأن نظر إليه شذراً وهو جالس مكانه ، وهز الأثنى عشر محلفاً رؤوسهم علامة الأستنكار .

– هذا شبشب زوجتك ، أليس كذلك ؟

وكان ممثل الأتهام هو جودنى نفسه كذلك ، وقد وضع الشبشب أمام أنفه وكانت به بطاقة مكتوب عليها دليل الأتهام رقم ١ .. ولم يكن بالشبشب أى نعل أو أى كعب .

وجاءت الغسالة الكهربائية بعد ذلك يحملها رجلان يلبسان ملابس الغطاسين ، وكان يعلوها الصدأ وتغطيها الأوحال والأعشاب وقد علقت عليها بطاقة مكتوب عليها (دليل الأتهام رقم ٢)

قال جودنى :

– مستر فينستر .. أن بصمات أصابعك توجد بكل مكان من الغسالة ،

كما توجد على السلك كذلك .

صاح :

– هذا محال .. هذا فخ .

ولكن المحلفين الأثنى عشر لم يعبأوا به وإنما نهضوا كلهم مرة واحدة وقالوا فى صوت واحد :

– مذنب أ .

وطلب القاضى من فينستر أن يقترب منه ولكن هذا الأخير لم يجد القوة على التحرك فجره رجال البوليس جراً . ومد القاضى جودنى أصبعه تحت أنف هارفى وقال :

– إننى أحكم عليك بالموت .. فوق الكرسى الكهربائى .

ولكن دوى رنين فى هذه اللحظة فى مكان ما .. رنين بعيد ضعيف وحزين وحاول هارفى أن يصل إليه .. المنبه الكهربائى .. وبذهنه البائس أكثر من جسده المضطرب وثب من فراشه .

***

وأمسك به بطريقة ما .. مكعب معدنى صغير مستدير الأركان .. يصدر من داخله رنين حاد متواصل .

وراح يقول وهو يمطره بقبلاته :

– إننى أحبك .. أحبك .

ولم يشأ أن يضغط على الزر ليوقف الرنين ، فقد كان الصوت ثميناً جداً

وجميلاً جداً .. وداعياً إلى الأطمئنان .

سينتهى الرنين حيث يتوقف من نفسه .. كلا .. كلا .. ضغط على الزر أخيراً فى شئ من الأسف والخوف .. وعندئذ بدأ يرتجف من الصمت المخيف الذى تلا ذلك .

مجرد حلم .. لم يكن كل ذلك غيرحلم أيها الغبى فينستر ألا تعرف الفرق بين اليقظة والمنام ؟ .. بين الحلم والحقيقة ؟ .. إنك الآن فى دنيا الواقع .. أنك فى فراشك وحدك .. لقد ماتت بيريل ولم يفتضح أمرك .. كلا ، حقاً .. أن الشبشب ليس .. هنا وكذلك الغسالة ليست موجودة .. وكذلك بيريل .. لا يمكن أن يعودوا .

والكرسى الكهربائى ؟ .. إنهم سيسوون حسابهم الآن معه .. ويقتلونه فوق الكرسى الكهربائى .

من الذى سيفعل هذا ؟ .. من ؟ .. رجال البوليس .. إنهم لا يستطيعون شيئاً ضده من غير دليل فإن الشبشب والغسالة والبصمات .. وقد حكموا عليه بالأعدام .. سيرسلونه إلى الكرسى الكهربائى .. ولكن هل الكرسى الكهربائى كرسى حقيقى ؟

أنه يبدو كما لو كان حقيقى ، ولكنه ليس بأكثر من حلم .. ولكن أيهما الحلم ؟ .. لم يدر .

***

– هارفى .. لابد أن تشترى لى غسالة جديدة .

نظر هارفى حوله لكى يبحث له عن مفر .. عن أى مكان لكى يهرب من

هذا الصوت الحاد الشرس .

– هارفى .. لابد أن تشترى لى غسالة جديدة .

وعندما حاول أن يجرى أوقفته القضبان .. لم تكن قضباناً حقاً وإنما كانت بعض حبال .. أسلاك كهربائية تحيط به كما تحيط خيوط العنكبوت بذبابة .

– لا تنفعل ياصاح .. لن تنتظر طويلاً بعد .

– دعونى أخرج .

– ليست هناك غير وسيلة واحدة للخروج من هنا .. بالنسبة لك أنت على الأقل .. من هذا الباب .

ولكن مازالت هناك خمس دقائق .. ألا يمكنك أن تنتظر ؟ لماذا تتعجل هكذا ؟ .. لماذا لاتريد الأنتظار ؟ .

وأقبل يبحث عنه .. رجلان ضخمان .. صرخ وأسرع إلى آخر الغرفة .. ولكنهما جراه جراً وهو يصرخ ويحاول التخلص منهما .

وفتح باب القبو .. الباب المؤدى إلى قبو منزله بالذات .. ورأى الكرسى أو شيئاً أشبه بالكرسى ولكنه لم يكن فى الواقع غير غسالة كهربائية .

– كلا .

– دعك من الانفعال ياصاح فإنه لن يجديك شيئاً .. ستفعل الكهرباء الباقى وما عليك إلا أن تحتفظ بقدميك على هذه الأرض المبتلة .

– أنا برئ .

– هل يؤلمك القيد ياصاح ؟ إنهم أنما أوثقوك هكذا لكى تبقى مكانك إلى

ان يسرى التيار .. لاتقلق سيتم ذلك حالاً .

صاح :

– بيريل .. هل هذا يؤلم ؟

ولكنها لم ترد .. فقد ماتت ووريت الثرى .

اليد اليسرى محكمة الوثاق .. أعطنى يدك الأخرى الآن .

كلا .. لا يجب عطاؤهم يده الأخرى .. أبعدها عنهم بقدر المستطاع .

– هيا ياصاح .. إن يده الأخرى قوية ياصديقى .. عم يبحث ؟ .. وماذا يريد أن يمسك ؟ .. هل يحاول انتزاع هذا السلك من الحائط .. هيا ياصاح أترك هذا السلك .

– كلا .. كلا .. أعطنى المنبه .. إنه ملكى .

– أعطه أياه .

ماهذا بأكثر من حلم .. إنه مجرد حلم .. هذا منبهى .. أنا .. منبهى .

تأمل الملازم جودنى الجسد المتجعد وحاول أن يستخلص السلك الذى تشبثت به أصابع الميت بقوة .. وأفلح فى مشقة كبيرة فى فتح الأصابع وتخليص السلك الكهربائى ونظر إليه فاحصاً فى حين راح الآخرون يفتشون الغرفة .

وقال وهو يشير إلى السلك :

– إنه عار فى نهايته .

وقال أحد الرجال المدنيين :

– أن تشبث به فى قوة فى الوقت الذى سرت فى جسده الشحنة الكهربائية .. كما لو كان يتشبث بالحياة .. ليس هذا انتحار .. أليس كذلك ياجو ؟ .

قال جودنى :

– أنه موت بالقضاء والقدر .

(تمت)

[illegible]

[illegible] .. [illegible]

- أيها الرجل هذا [illegible] ؟

ولكنه لم [illegible] .. فقد ماتت [illegible]

[illegible] الجنود [illegible] [illegible]

قال : لا يجب [illegible] المشنقة

- هيا يا صاح .. إن يده الأخرى قوية يا صديقي .. [illegible] .. [illegible] أن يمسك [illegible] .. هل يحاول [illegible] الملك من المشنقة .. هيا يا صاح أنزل هذا الملك

- كلا .. كلا [illegible] الملك .. إنه ملكي

- أعطه إياه

[illegible] .. إنه [illegible] .. هذا [illegible] .. أنا .. [illegible]

[illegible] يحاول أن يستخلص الملك [illegible] أصابع الميت [illegible] في فتح الأصابع [illegible] الملك [illegible]

[illegible] إلى الملك

- إنه [illegible] في نهايته

وقال أحد الرجال [illegible]

سلسلة روائع القصص البوليسية هتشوك



- ★ الياقوتة
- ★ الأنتحار
- ★ السفاح
- ★ المقبرة
- ★ ذو الوجهين
- ★ مسرح العرائس
- ★ الميت الحى
- ★ اليوم المشئوم
- ★ اليد المقطوعة
- ★ رصاصة فى الظلام

مكتبة معروف
الإسكندرية: ٤٨١٠٨٢٨/ ٤٨٤٦١٢٥ فاكس ٤٨٦٠٠٨٩
القاهرة: ٢٦١١٢٢٩ ص.ب ٣٧٠ الإسكندرية

بالمملكة العربية السعودية
مكتبة دار الشعب
ت : ٤١١١٢٠٧ الرياض